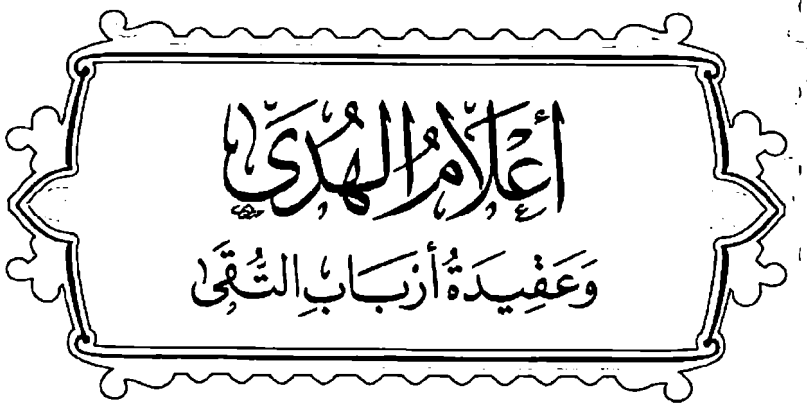
أعلام الهدى
وعقيدة أرباب التقى

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمدُ للهِ الَّذي رَفعَ غِشاوةَ العَمَهِ عن بصائرِ أهلِ الوِدادِ[1] ، وهَداهُم بنُورِ اصطِفائِه إلىٰ أقوَمِ مناهجِ الرَّشادِ ، وزكَّىٰ نُفوسَهم عنِ الميلِ إلى الدُّنيا حتَّىٰ سَلَكُوا أعدَلَ طرائقِ الزُّهَّادِ ، وحَمَىٰ قلوبَهم عنِ الزَّيغِ بالأهواءِ المُرْدِيةِ بصحيحِ الاعتقادِ ، وأوردَهُم مَناهِلَ صَفْوِ اليقينِ حتَّى انحَسَمَت عن بَواطِنِهم مادَّةُ الرَّيبِ والعِنادِ ، وأُتْرِعَت لهم[2] كُؤوسُ الفُهومِ مِن كَوثرِ غَرائبِ العُلومِ بما تَرادفَت[3] عليهم مِنَ الإمدادِ ، تَعرِفُ في وُجوهِهم نَضْرَةَ نَعيمِ المعرِفةِ وبِشْرَ الظَّفَرِ بالمرادِ ، ونُودِيَ في سرِّهِم إخْفاءً مِن زِرِّهِم[4] : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾[5] ، أحمَدُه علىٰ ما مَنحَ مِنَ السَّدادِ ، وأشكرُه علىٰ ما مَنعَ مِن مُوجِباتِ الإبعادِ ، وأشهدُ أن لا إلٰهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ؛ شهادةً دائِمةَ النُّورِ أبدَ الآبادِ ، وأشهدُ أنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ إلىٰ كافَّةِ العبادِ ، صلواتُ اللهِ عليه وعلىٰ آلِه الأكرمِينَ الأمجادِ[6] .

---

(١) العمهُ : التحيُّر والتردُّد ، وهو في البصيرة والرأي كالعمىٰ في البصر .

(٢) قال ابنُ فارس : (والتَّرَع : الإمتلاءُ ، وقد تَرِعَ الإناءُ ، وكان بعضُ أهلِ اللُّغةِ يقول : لا أقولُ : تَرِعَ ، ولٰكن : أترِعَ ، وهٰذا مِنَ البابِ ؛ لأنَّه إذا أترِعَ . . بادرَ إلى السَّيلانِ) . « مقاييسُ اللُّغة » مادَّة : (ت ر ع) .

(٣) في (ب) : (ترادفَ) .

(٤) كُتِب مُقابله في حاشية (د) ما نصه : (الزِّر : عَظْمٌ تحت القلبِ صَغيرٌ يكون قِوامَ القلبِ) .

(٥) سورة صٓ : (٥٤) ، يكثرُ المصنِّفُ رحمه الله تعالىٰ مِن هٰذا الأسلوبِ البلاغيِّ في الإقتباسِ مِن الآي يُدبِّلُ به حديثَه ، وهو تلطُّفٌ معروفٌ لدىٰ أربابِ السُّلوكِ والإشارة ، لذا سنتجاوزُه ولا نعلِّقُ عليه كلَّ مرَّة .

(٦) في (ج) : (قال الشَّيخُ العارفُ المحقِّقُ حجَّةُ الحقِّ علَمُ الهدىٰ شيخُ الإسلامِ شهابُ الحقِّ والملَّةِ والدِّينِ عمرُ بنُ محمَّدٍ السُّهرَورديُّ قدَّسَ اللهُ روحَه ونوَّرَ ضريحَه . . .) .

وبعد :

فقدِ التَمسَ مِنّي وأنا مُجاورٌ بمكَّةَ ـ حرسَها اللهُ تعالىٰ وزادَها شَرَفاً ـ أخٌ مِنَ المسلمينَ ، وأنا وإيَّاه في الطَّوافِ حولَ الكعبةِ المقدَّسةِ المُعظَّمةِ ؛ أن أكتُبَ له عقيدةً سليمةً[1] يَتمسَّكُ بها .

وكانَ مِنْ قبلِهِ سبقَ هٰذا الإلتِماسُ مِنْ غيرِه ، ولم يَنشرِحْ صَدرِي للإجابةِ ، فلمَّا وَرَدَتْ عليَّ مسألةُ هٰذا الأخِ المسلمِ . . وجدتُ مِن باطِني مُجِيباً له إلىٰ ذٰلكَ ، ثمَّ إنّي توقَّفتُ إذْ رأيتُ الوقتَ بمكَّةَ عزيزاً جِدّاً ، يَعِزُّ أن يُشغَلَ بغيرِ الصَّلاةِ والطَّوافِ والتِّلاوةِ ، مع ما بُليَ بهِ الإنسانُ مِن صَرفِ بعضِهِ إلى الأكلِ والنَّومِ والإهتمامِ بمصالحَ ضَروريَّةٍ ، ومسألةُ الأخِ المسلمِ تَتَقاضَىٰ[2] بأداءِ حقِّهِ .

ثمَّ علِمتُ أنَّني إنْ أرخَيتُ عِنانَ[3] المُرادِ . . رُبَّما اتَّسعَتِ النَّفسُ وجُذِبَتْ إلىٰ مُطالَعةِ الكُتُبِ ، واستِخراجِ المسمُوعاتِ المُسنَدةِ ؛ لتَقييدِ ما أذكُرُهُ بالأحاديثِ المسنَدةِ ، ومُطالَعةِ أقاويلِ الفِرَقِ ، ويَصيرُ لما خَطَرَ لي شُعَبٌ لا يَفِي بها الوقتُ .

فاستَخَرتُ اللهَ تعالىٰ ودعوتُ في المُلتَزَمِ والمُستَجارِ ، وتمسَّكتُ بالأركانِ والأستارِ ، وسألتُ اللهَ تعالىٰ أنْ يَنفعَ بما أذكُرُهُ ، ويَجعلَهُ خالِصاً لوجهِهِ ، ويحرُسَني فيهِ مِنَ الخطأ والزَّلَلِ .

وبعدَ الإستِخارةِ والدُّعاءِ ـ استَملَيتُ هٰذا المختَصَرَ مِنْ باطِني[4] ، وشَرطتُ

---

(١) كلمة (سليمة) : زيادة من (هـ) .

(٢) أي : تتطلَّب .

(٣) العِنان : سيرُ اللِّجامِ الَّذي تمسِكُ به الدَّابَّةُ ، والجمع : أعِنَّةٌ . ينظر : تاج العروس (٣٥/٤١٤) .

(٤) فلم يرجع فيه إلىٰ مصادرَ ومراجعَ ؛ كما هي عادةُ المصنِّفينَ في الغالبِ ؛ نظراً لضيقِ وقتِ إقامتِه ، وبُعدِه عن مكتبتِه ، ومُراعاةِ حالِ سائلِه ؛ فكان يُملي مِن عَفوِ خاطرِه وبَناتِ فكرِه ممَّا جادت به قَريحتُه وقتَئذٍ ، ومِن هنا نقِفُ علىٰ سرِّ عدمِ شُمولِ الكتابِ لكلِّ أبوابِ الإعتقادِ ؛ حيثُ قصدَ به مُمليه رؤوسَ المسائلِ ، ومُجمَلَ اعتقادِ السَّلفِ ، والضَّروريَّ منه ؛ ممَّا يجبُ على المسلمِ أن يَعلَمَهُ مِن أمرِ دينِهِ ، لذا نجدُه يَسلُكُ فيه مَسلكاً هو أقربُ ما يكونُ إلى المحدِّثينَ منه إلى المتكلِّمين في سَرده ؛ مِن حيثُ الإجمالُ والإستِفصالُ في طرائقِ العرضِ والإستدلالِ . والله تعالىٰ أعلم .

علىٰ نفسِي أنْ يكونَ القلبُ ناظراً إلى اللهِ مُستعِيناً بهِ ، وربَّما كانَ الخاطِرُ يقِفُ في شيءٍ منهُ ، فأَطوفَ حولَ الكَعبةِ حتَّىٰ يَنشرِحَ الصَّدرُ للقَولِ .

وسمَّيتُهُ :

« أَعلامُ الهُدَىٰ وعقيدةُ أربابِ التُّقَىٰ »

ورتَّبتُه علىٰ عشرةِ فُصولٍ ، واللهُ الموفِّقُ والمُعينُ :

الفصلُ الأوَّلُ : في شرحِ العقيدةِ الصَّحيحةِ ومَنشئها ووجهِ تَطرُّقِ الفسادِ إليها .

الفصلُ الثَّاني : في شهادةِ أن لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ وتَنزِيهِه سُبحانَهُ .

الفصلُ الثَّالثُ : في صفاتِ اللهِ تعالى الذَّاتيَّةِ .

الفصلُ الرَّابعُ : في قُدرةِ اللهِ تعالىٰ وخَلقِ أفعالِ العبادِ .

الفصلُ الخامسُ : في كلَامِ اللهِ تعالىٰ ، وما خاضَ النَّاسُ فيه مِنَ القَولِ .

الفصلُ السَّادسُ : في القَولِ في الآياتِ والأخبارِ الواردةِ في الصِّفاتِ .

الفصلُ السَّابعُ : في رُؤيةِ اللهِ تعالىٰ .

الفصلُ الثَّامنُ : في شهادةِ أنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم .

الفصلُ التَّاسعُ : في ذِكرِ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ورضِي عنهُم .

الفصلُ العاشرُ : في ذِكرِ الموتِ وما بعدَه مِنَ الأمورِ الأُخرَويَّةِ وذِكرِ السَّاعةِ .

وأنا أسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يَحفَظَ القلبَ الَّذي هو مُقَلِّبُهُ ، والمُودِعُ فيهِ ما يشاءُ مِنْ آثارِ رحمتِهِ ونفائسِ مَوهبَتِهِ . . مِن نَزَغاتِ الشَّياطينِ ، وهَفَواتِ الطَّبعِ ، وتكونَ حركةُ يدِي وإرادةُ قَلبِي لا تَنفَكُّ عنِ النِّيَّةِ الصَّالحةِ فيه ، إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

الفصل الأوّل

في شرح العقيدة الصّحيحة، ووجه تطرّق الفساد إليها

اعلمْ ـ أيَّدك اللهُ تعالىٰ ـ : أنَّ العقيدةَ الصَّحيحةَ هي العقيدةُ السَّليمةُ مِنَ الأهواءِ ، أَنتَجها قلبٌ حيٌّ بذِكرِ اللهِ تعالىٰ ؛ وهو القلبُ المزيَّنُ بالتَّقوى ، المؤيَّدُ بالهُدى ، الَّذي تَشَعْشَعَ[1] فيه نُورُ الإيقانِ ، فظهرَ أثَرُ نُورِه على الجوارحِ والأركانِ ، حتَّىٰ صارَتْ مُقيَّدةً بأوامرِ الشَّرعِ ، محفوظةً مِن هَفَواتِ الطَّبْعِ ، وهو قلبٌ ردَّهُ اللهُ تعالىٰ إلىٰ طهارةِ الفِطرةِ ، وخَلَّصَه عَن أثَرِ كُلِّ مسمُوعٍ يَتَكَرَّرُ على النَّفسِ ، فيَنطبِعُ في النَّفسِ منهُ ظنٌّ وَوَهْمٌ يَشْغَلُ كُلِّيَّتَها[2] ، فلَا يَبقَىٰ فيها لغيرِ ما ظنَّته وتَوهَّمَته مَساغٌ .

ولا يكونُ مثلُ هٰذا القلبِ إلَّا لزاهدٍ في الدُّنيا ؛ لأنَّهُ قلبٌ مَحفوفٌ بالنُّورِ ، والقلبُ المحفوفُ بالنُّورِ : قلبُ الزَّاهدِ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : « إِنَّ ٱلنُّورَ إِذَا دَخَلَ فِي ٱلْقَلْبِ . . ٱنْشَرَحَ وَٱنْفَسَحَ » ، قيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ هل لذٰلك مِن عَلامةٍ ؟ ، قالَ : « نَعَمْ ؛ ٱلتَّجَافِي عَنْ دَارِ ٱلْغُرُورِ ، وَٱلْإِنَابَةُ إِلَىٰ دَارِ ٱلْخُلُودِ ، وَٱلِاسْتِعْدَادُ لِلْمَوتِ قَبْلَ نُزُولِهِ »[3] .

وكثيرٌ مِنَ المُعلِّمِينَ[4] تمسَّكوا بعقيدةٍ تقرَّرت عِندَهم أدِلَّتُها ، وظهَرت بزَعْمِهم بَراهِينُها ، إذا اعتَبرَهُمُ العالِمُ الزَّاهِدُ . . وجدَهُم يَخلُدونَ إلىٰ تقليدٍ هو

---

(١) تشعشعَ : انتشر وتلألأ .

(٢) في (ج) : بزيادةِ (نفسٌ) ، ولعلّها تكونُ بيانيةً مِن وضعِ النَّاسخِ .

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في « قِصر الأمل » (١٣١) ، والحاكم في « المستدرك على الصحيحين » (٣١١/٤) ، والبيهقي في « الزهد » (٩٧٤) من حديث سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٤) في (أ ، ب ، د ، هـ) : (المسلِمينَ) .

عندَهُم كَمالُ التَّوحيدِ ، وإذا سَبَرتَ [1] أحوالَهم . . تَجِدُهم مُقلِّدِينَ لِمَن حَسُنَ فيه ظنُّهُم مِن مَشايِخِهِم وأئِمَّتِهِم ، واعتقَدوا فيهِم قُوَّةَ العلمِ ، والظَّفَرَ بالصَّحيحِ ، فتَلقَّوا منهُم العقيدةَ وسَمِعوا منهُم أدلَّتَها ، فامتَلأَ وَهْمُهُم وخَيالُهُم بما سَمِعوا ، وظنُّوا أنَّهم ظَفِروا ، ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [2] .

وقدْ يَتمسَّكُ بعضُهُم بعقيدةِ مَن لم يُخالِطِ العلماءَ زِيادةَ مخالَطةٍ ، ولكن يَسمَعُ مِنَ المُخالِطِينَ لهم والمجالِسينَ والمجتَمِعينَ على الشَّيءِ مِن أهلِ مَحَلَّتِه وبَلدَتِه ؛ فيتمسَّكُ بما تمسَّكُوا بهِ ، ويُكفِّرُ مَنْ لا يَعتقِدُ مُعتقَدَهُ .

وقدْ يَلتحِقُ كثيرٌ ممَّن يَزعُمُ أنَّه ظَفِرَ بالدَّليلِ بهٰذا العامِّيِّ ويكونُ مُقلِّداً مِثلَهُ ، والنُّفوسُ تُسْتَرَقُّ [3] ويَنطبِعُ ويَنتقِشُ فيها أشياءُ ، وهٰذا مِن غيرِ أن يَشْعُرَ بها أصحابُها ، وعلىٰ هٰذا جُبِلَتْ وطُبِعَتْ ، ولهٰذا شرحٌ عميقٌ وغَوْرٌ بعيدٌ .

ولمَّا كانَتْ هٰذهِ الفِتنةُ ممَّا عمَّ بها البَلوَىٰ ، وصَدَّت عنِ الهُدَىٰ . . فلا طريقَ إلى النَّجاةِ إلَّا صِدقُ الِافتقارِ وحُسنُ الِالتجاءِ إلى المَولىٰ ؛ حتَّىٰ يَكشِفَ هٰذه الغُمَّةَ ويُرشِدَ إلى الحقِّ الصِّرْفِ [4]

مَنْ [5] قَرَعَ بابَ الطَّلَبِ مِنَ الأُمَّةِ [6] ، ومَنِ انتَزَعَ مِن قلبِه الهَوىٰ ، وظَفِرَ

---

(١) السَّبرُ ـ بفتحٍ فسكون ـ : امتحانُ غَورِ الجُرحِ وغيرِه ، يقال : سَبَر الجرحَ يَسبِره ويَسبُره سَبراً ؛ نظَرَ مقدارَه ، وقاسَه ليعرِفَ غَورَه ، هٰكذا بالوجهينِ عند أئمةِ اللغةِ ، وصرَّح به غيرُ واحد . ينظر « تاج العروس » (٤٨٧/١١) .
ومصطلَح سَبرِ العلَّة والأدلَّةِ معروفٌ لدى الأصوليينَ ، ومعناه هنا : الاستقراء .

(٢) سورة الروم : (٣٢) .

(٣) في (ب) : (تشرفُ) وفي (أ ، ج) : (تشرقُ) ، ونقرأ : (وتُسْتَرَقُ) .

(٤) الصرف : المحض الخالص الَّذي لم يُشَب بشائبةٍ .

(٥) في (د) : (فمن) .

(٦) في (أ) : (الأئمَّة) .

بحُسنِ الإهتِداءِ . . يَنظُرُ بعَينِ الرَّحمةِ إلى المحجُوبينَ ، ولا يكونُ فَظّاً غَلِيظَ القلبِ علىٰ أربابِ اختلافِ الآراءِ مِنْ كافَّةِ أهلِ القِبلَةِ مِنَ المُسلمينَ ، ويستعينُ باللهِ تعالىٰ في تَفهيمِ الطَّالِبينَ المُسترشِدِينَ .

ولمَّا صحَّتِ العُقولُ واعتَدلَتْ في زَمنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ بما أفاضَ اللهُ عليهم مِنْ آثارِ الوحي السَّماوِيِّ ، وأَنوارِ القلبِ المُقدَّسِ النَّبَوِيِّ . . انخَلَعَت[1] النُّفوسُ مِنَ العَادةِ ، وأَذعنَتْ للطَّاعةِ والعبادةِ ، وتَشرَّبَتِ القُلوبُ الزُّهدَ في الدُّنيا ، وعانَقَتِ الإقبالَ على اللهِ تعالىٰ والأُخرىٰ ، واستَشفَّتْ أنوارَ اليقينِ مِنْ وراءِ أستارِ الغَيبِ ، وانسَلخَتْ عن كُلِّ شَكٍّ وريبٍ ؛ لا جَرَمَ اتَّحدَتِ العقائدُ[2] ، وصارتِ القلوبُ قلباً واحِداً ، والآراءُ رأياً واحِداً ؛ كما وصَفَهمُ اللهُ : ﴿ كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[3] .

فتَبيَّنَ بذٰلك أنَّ ما حدَثَ فيما بَعدُ مِنَ الإختلافِ ، لم يكُن إلَّا لِما يكونُ مِنَ الإنحرافِ .

فلمَّا انحلَّتْ عزائمُ الزَّاهدِينَ ، وتَزَعْزَعَتْ أَبْنِيَةُ المتَّقِينَ . . تَطرَّقَ إلى العقائدِ الشَّيطانُ ، وزَعزَعَ أُصولَ الإيمانِ .

فمَنْ أراد العقيدةَ الصَّحِيحةَ السَّلِيمةَ مِن كلِّ عَيبٍ وعَوارٍ . . فعَليهِ باقتفاءِ تلكَ الآثارِ ؛ حتَّىٰ يَكشِفَ عن قلبِهِ غِشَاوةَ الحُجُبِ والأَستارِ ، ويَظفَرَ بكَنزِ الأَسرارِ ، ويتواترَ عليه الإمدادُ والأَنوارُ .

---

(١) في (ج) : بزيادةِ قوله : (النَّبويِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ علىٰ ذٰلك القلبِ والقالَبِ إلى انقطعت) ، وفي الحاشيةِ علَّقَ النَّاسخُ بقولِه : (إلىٰ بمعنىٰ حتَّىٰ) .

(٢) لا جرمَ : كلمةٌ في الأصلِ بمنزلةِ : لا بُدَّ ، ولا محالةَ ، ثمَّ تحوَّلت إلىٰ معنى القسمِ ، وصارت بمعنىٰ : حقّاً .

(٣) سورة الصف : (٤) .

قالَ اللهُ : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] ، جَعلَ العِلمَ النَّافعَ مَعذوقاً[2] بالتَّقوىٰ ، ولا شُبهةَ بأنَّ الهَوىٰ شريكُ العَمَىٰ ، واللهُ تعالىٰ بفَضلِه يُنقِذُ مِنَ الضَّلالِ ، ويُعِينُ علىٰ إصلاحِ الحالِ .

---

(١) سورة البقرة : (٢٨٢) .

(٢) مَعذوقاً : مُرتَبِطاً مُعلَّقاً ، وفي حاشية (هـ) : (مخلوطاً) .

الفصل الثاني

في شهادة أن لا إله إلا الله، والتوحيد والتنزيه

عَلِمَ القلبُ الصَّحيحُ، وحَكَمَ العقلُ السَّليمُ، وشَهِدَ العلمُ الرَّاسخُ . . بما شَهِدَ اللهُ تعالىٰ بهِ لنَفسِه وشَهِدت بهِ ملائكتُه وأُولو العلمِ؛ حيثُ قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1]، تعالى اللهُ لا إلهَ إلَّا هو، لا ضِدَّ لهُ، ولا نِدَّ لهُ، ولا شِبْهَ لهُ، ولا مِثْلَ لهُ، ولا وَلَدَ لهُ، ولا والدَ لهُ، ولا وزيرَ لهُ، ولا نَظيرَ لهُ، ولا تُدرِكُ كُنْهَ عَظَمَتِهِ الأوهامُ، ولا تَبلُغُ شأوَ كِبريائِهِ الأفهامُ، ولا يَعتَرِي ذاتَهُ المُقدَّسَ التَّأثُّرُ والتَّغيُّرُ والآلامُ والأسقامُ، والسِّنَةُ والمَنامُ، والإفتراقُ والإلمامُ[2]، جلَّ عمَّا يَجُولُ بهِ الوَسْواسُ، وعَظُمَ عمَّا تُكيِّفُه الحَواسُّ، وكَبُرَ عمَّا يَحكُمُ بهِ القِياسُ، لا يُصوِّرُه وَهْمٌ وخَيالٌ، ولا يُشاكِلُهُ مِثالٌ، ولا يَنُوبُهُ زَوالٌ، ولا يَشُوبُه انتِقالٌ، ولا يَلحَقُهُ فِكرٌ، ولا يَحصُرُهُ ذِكرٌ، قَيُّومٌ أزَلِيٌّ، دَيمُومٌ سَرْمَدِيٌّ، لا تُحَدُّ أزَلِيَّتُه بـ (مَتىٰ)، ولا تُقيَّدُ أبَدِيَّتُه بـ (حتَّىٰ)، لا يَنطلِقُ عليهِ التَّعيينُ، ولا يَتطرَّقُ إليه التَّأيينُ، إنْ قلتَ: أينَ؟ . . فقدْ سبقَ المكانَ، وإنْ قلتَ: متَىٰ؟ . . فقد تقدَّم الزَّمانَ، وإنْ قلتَ: كيفَ؟ . . فقدْ جاوزَ الأشباهَ والأمثالَ والأقرانَ، وإنْ طَلَبتَ الدَّليلَ . . فقدْ غَلَبَ الخبرَ العِيانُ، وإنْ رُمْتَ البيانَ . . فذرَّاتُ الكائناتِ بَيانٌ وبُرهانٌ.

أوَّلٌ آخرٌ، ظاهرٌ باطنٌ، تفانَتِ الأوائلُ والأواخرُ في أزليَّتِهِ وأبدِيَّتِهِ، تَفرَّدَ في الأزَلِ بنَعتِ العَظَمَةِ والجَلالِ قبلَ الكَونِ والمكَانِ، والدُّهورِ والأزمانِ، والحِينِ والأوانِ؛ فالمكَانُ جَواهرُ وأجسامٌ خلقَها، والدُّهورُ أوقاتٌ وأزمانٌ قَدَّرَها، كُلُّ ذٰلكَ موسُومٌ بالحدَثِ.

---

(١) سورة آل عمران: (١٨).

(٢) في (د): (والالتئام).

عرَّفَنا المكانَ والزَّمانَ بتعريفِهِ إيَّانا ، ولو شاءَ . . كَوَّنَنا ولمْ نَعرِفْ مكاناً ولا زَماناً ، كوَّنَنَا في المكانِ ، ولوْ شاءَ . . كوَّنَنَا ولا مكانَ ؛ فعِلمُنا بأنَّا لا نكونُ إلَّا في مكانٍ . . مِن قضايا عُقولِنا ، وهٰذه القضايا هيَّأها لنا نَعقِلُ بها المعقولَ ، ونَعلَمُ بها المعلومَ ، ولوْ شاءَ هيَّأَ لنا غيرَ هيئاتِنا ؛ فعوالمُ قدرتِهِ غيرُ مَحصورةٍ ، وغَرائبُ مَشيئَتِهِ غيرُ مَنكُورةٍ ، وما نحنُ فيهِ مِنَ العالَمِ بما نحنُ عليهِ مِنَ العقلِ والعلمِ . . عالَمٌ مِنْ عوالِمِهِ .

ولا تَستَبعِد قَولي : (لو شاءَ . . كَوَّنَنا في غيرِ مكانٍ)[1] ؛ فقدْ كوَّنَ المكانَ لا في مكانٍ ؛ إذ لو كانَ في مكانٍ . . لتَسلسَلَ ، فلا تَحصُرِ القُدرةَ بعقلِكَ ؛ إذِ العقلُ قُوَّتُهُ أنْ يَحصُرَ الحِكمةَ ، فأمَّا القُدرةُ . . فلا يحصُرُها حادثٌ[2] ، فحَدِّثْ عنِ البَحرِ ولا حرجَ .

ومِنْ هٰذا الأساسِ تمشَّتْ وتَبيَّنَتِ الأمُورُ الأُخرَويَّةُ ، وعَلِمَها مَنْ عَلِمَها ، وأنكَرَها مَنْ عَجَزَ عقلُهُ عنْ إدراكِها ؛ فمَنْ يُكوِّنُ المكانَ والمُكوَّنَ فيهِ ، والزَّمانَ

---

(١) يُقرِّرُ هنا الإمامُ السُّهرَورديُّ رحمه الله مُعتقدَ الأشاعرةِ بخُصوصِ القُدرةِ الإلٰهيَّةِ ؛ وهي الإيمانُ بأنَّ اللهَ تعالىٰ قادرٌ علىٰ كلِّ شيءٍ فعلَه أو لم يفعله .
ومِنَ المعلومِ عادةً : أنَّ أيَّ شيءٍ مخلوقٍ لا يمكنُ أن يكونَ إلَّا في مكانٍ وزمانٍ ، والمكان : كوَّنته قدرةُ اللهِ تعالىٰ دون أن يكونَ في مكانٍ آخرَ ، وإلَّا . . تسلسَلَ الأمرُ ، والتَّسلسُلُ باطلٌ ؛ يستلزمُ منه أنَّ الحوادثَ لا أوَّلَ لها ؛ بمعنىٰ : أنَّ المكانَ الَّذي سيكونُ فيه المكانُ أيضاً يحتاجُ إلىٰ مكانٍ ، وهٰذا الآخرُ يحتاجُ إلىٰ مكانٍ . . . وهٰكذا دواليك بما لا ينتهي مِنَ الأمكنةِ في سلسلةٍ لا تنقطعُ ، والتَّسلسلُ في حُكمِ العقلِ مستحيلٌ ؛ لأنَّه لا بدَّ وأن ينقطعَ إلىٰ مكانٍ ليس لهُ مكانٌ يكونُ فيهِ .
أمَّا قدرةُ اللهِ تعالىٰ فليس للمُستحيلِ العاديِ عليها طريقٌ كما يرى الأشاعرةُ ؛ فهي قدرةٌ مُطلَقةٌ ، لو أرادت جَعلَ المستحيلِ عادةً مُمكِناً . . لَجعلَته ، واللهُ تعالىٰ قادرٌ علىٰ أن يُريَ الأعمىٰ وهو في المَشرقِ دبيبَ النَّملةِ السَّوداءِ على الصَّخرةِ الصَّمَّاءِ في اللَّيلةِ الظَّلماءِ وهي في المَغربِ ، وهٰذا المثالُ الَّذي يَذكرُه علماءُ الأشاعرةِ تتَساقطُ فيه شروطُ الرُّؤيةِ وأسبابُها ؛ حيثُ إنَّ قدرتَه إذا شاءت لا بُدَّ وأن تُسقِطَ اتِّصالَ الأسبابِ بالمُسبَّباتِ ، وهٰذا ما يُحدِثُه اللهُ تعالىٰ لمن يَختَصُّهم بالمُعجزاتِ أو الكَراماتِ .
وانظر كتبَ الأشاعرةِ على اختلافها ، مع الفصلِ الرَّابعِ مِن هٰذا الكتابِ : (خلقُ أفعالِ العبادِ) .
(٢) كلمة (حادث) : زيادة من (هـ) .

والمُقدَّرَ فيهِ[1] ، عالَماً مِن عَوالِمه ، ويَسيراً مِن عَظيمِ قُدْرَتِه . . كيفَ يَحصُرُهُ الزَّمانُ والمكانُ ؟!

فما أُظهِرَ مِن عالَمِ المُلكِ والشَّهادَةِ . . عالَمُ الحكمةِ ، والعقلُ الموهوبُ لنا الَّذي نَتصَرَّفُ بهِ مُوكَّلٌ بهٰذا العالَمِ ، وهٰذا العالَمُ مِنَ العَرشِ إلى الثَّرَىٰ معَ العقلِ الَّذي فَهِمَهُ وعَقَلَهُ وعَلِمَهُ ، وقسَّمَهُ أجساماً وجَواهِرَ وأَعراضاً . . عالَمٌ مِن عَوالِمِهِ ، فصورُ العالَمِ وكُلُّ ما حواهُ ـ وهو العالَمُ الَّذي عَقَلَهُ العُقلاءُ ؛ بمَا فيهِ مِنَ الأَرضِ والسَّماءِ ، والماءِ والنَّارِ والهواءِ ، والعرشِ والكُرسِيِّ ، والجِنِّيِّ والإنسيِّ ، والأَفلاكِ والأَملاكِ ، والألوانِ والأَكوانِ والأَجرامِ والاِصطِكاكِ ، والشَّمسِ والقمرِ والنُّجومِ ، إلىٰ أَعماقِ أَطباقِ التُّخومِ[2] ـ بالنِّسبَةِ إلى العَظَمَةِ الإلٰهيَّةِ . . أقلُّ وأحقَرُ مِن خَرْدَلةٍ بالنِّسبَةِ إلىٰ جَميعِ العالَمِ .

فَفَرِّغ بالَكَ عندَ ذٰلكَ مِنْ قِياسِكَ ؛ أنَّهُ سُبحانَهُ داخِلَ العالَمِ أو خارِجَ العالَمِ ؟ فما أَحقَرَكَ وأحقَرَ عِلمَكَ ! فلو فتَحتَ عينَ بَصيرتِكَ . . استَحيَيْتَ مِن قياسِكَ وفِكرِكَ ، وَوهْمِكَ وخَيالِكَ .

أيُّها المحصورُ المحدودُ ؛ لا يُنتِجُ فِكرُكَ إلَّا محصوراً محدوداً .

وأيُّها المحيطُ بهِ الجِهاتُ ؛ لا يَحكمُ علمُكَ إلَّا بالجهاتِ ، فالجهاتُ مِن جُمَلةِ العالَمِ ، وقدْ علمتَ نِسبتَهُ إلىٰ عَظَمَةِ اللهِ تعالىٰ ؛ فتبارَكَ اللهُ ربُّ العالمينَ .

---

(١) في (هـ) : (فمن يكوّنُ المكانَ بما فيه مِنَ المقدَّرات عالَماً) .

(٢) التُّخومُ : حدودُ الأرضِ ومعالمُها . ينظر « غريب الحديث » لأبي عُبيد (١١١/٣) .

الفصل الثالث

في صفات الله الذاتية[1]

لِلهِ تعالى الأسماءُ الحُسنَىٰ والصِّفاتُ العُلا ، لا نُسمِّيهِ إلَّا بما سَمَّىٰ بهِ نفسَه ، ولا نَصِفُهُ إلَّا بما وصفَ به قُدْسَهُ ، فكُلُّ اسمٍ مِنَ الأسماءِ يُنْبِئُ عن صِفَةٍ مِنَ الصِّفاتِ ، ولهُ بكُلِّ صِفَةٍ مِن صفاتِه أثَرٌ مِن آثارِ رُبوبيَّتِهِ في خَلقِهِ ، وهو مُطالِبٌ بعُبودِيَّةٍ مُلائمَةٍ لتلكَ الصِّفةِ ، وهٰذه الصِّفاتُ الَّتي أذكُرُها ذاتِيَّةٌ ؛ هي مِنْ لَوازِمِ كَمالِ الذَّاتِ المُقدَّسِ ، وما أبرَزَها إلَّا لنَعلَمَها ، وما ذَكرَها إلَّا لنَفهَمَها ، ولولَا ما أخبَرَ وأنزلَ ، وفهَّمَ وعَلَّمَ . . لعَظُمَ شأنُ اللهِ أنْ يَتفوَّهَ بها لِسانٌ ، أو يُعرِبَ عنها بَيانٌ .

فمنها : الحياةُ : قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[2] .

حياتُهُ سَرمَديَّةٌ مُستمِرةٌ في الآزالِ والآبادِ ، جَلَّتْ عنْ مَددِ العَناصرِ ، أو مَعُونَةٍ مِنَ الباطنِ والظَّاهرِ ؛ لأنَّه صَمَدٌ لا يتطرَّقُ إليهِ التَّأثيرُ ، قَيُّومٌ لا يَعتَريهِ الزِّيادَةُ والنُّقصانُ والتَّغييرُ ؛ فالزِّيادَةُ لقُصورٍ عنِ الغايةِ ، والنُّقصانُ لتَخلُّفٍ عنِ النِّهايةِ ، وهو خالقُ الغَاياتِ والنِّهاياتِ .

ومنها : القُدرَةُ : قادِرٌ ، جميعُ الكائناتِ مَقدُوراتُهُ ، لا يُعجِزُه شيءٌ ، ولا يتكوَّنُ دونَ قُدرتِهِ شيءٌ ، قادرٌ علىٰ أن يُعدِمَ الكَونَ بأَسْرِهِ ، وقادرٌ علىٰ أن يُبدِعَ غيرَهُ كمِثْلِهِ ، آخذٌ بناصِيَةِ كُلِّ ما في أرضِهِ وسَمائِهِ ، وبَرِّه وبَحرِه ، المَقدُوراتُ قائِمةٌ بقُدرَتِهِ ، مُسَخَّرةٌ في قَبضَتِهِ ، أوجَدَها بِـ (كُنْ) فكانَت ، ولوْ شاءَ . . أعدَمَها فتَلاشَت وتَفانَتْ .

---

(١) أو الوجوديَّةِ ؛ وهي ما تُسمَّىٰ عند الأشاعرةِ بالصِّفاتِ السَّبعِ ، أو صفاتِ المعاني ، سيأتي المصنِّفُ عليها .

(٢) سورة غافر : (٦٥) .

ومنها : العلمُ : عالِمٌ ، أحاطَ بجميعِ المعلوماتِ بعلمٍ واحدٍ قَديمٍ أَزَليٍّ ، لا يَعْزُبُ عن عِلمِهِ مِثقالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ ولا في الأرضِ ، يُحصِي أعدادَ الرِّمالِ وذرَّاتِ الجبالِ ، عَلِمَ ما كانَ قبلَ كَوْنِهِ ، ويعلَمُ ما يكونُ ؛ فإنَّهُ سُبحانَهُ مُستقِلٌّ بعلمِ الكَوْنِ مُطلقاً ، أوَّلاً وآخِراً ، وظَاهراً وباطِناً .

عالِمٌ بالجُزئيَّاتِ ؛ كما هو عالِمٌ بالكُلِّيَّاتِ .

فمِثَالُ العلمِ الأَزَليِّ الواسعِ ، وإحاطَتِه بالجُزئيَّاتِ والكُليَّاتِ : أنَّكَ لو أخَذتَ كَفّاً مِنَ الخَرْدَلِ وتَركتَه في وِعاءٍ ضَيِّقٍ . . عجَزتَ عن إحصائِه ؛ لتَزاحُمِه وضِيقِ وِعَائِهِ وقُصورِ إدراكِكَ ؛ فإنْ أنتَ بَسَطتَهُ حتَّى تَفرَّدَتِ الحَبَّاتُ . . فما قَلَّ مِن ذٰلكَ تُدرِكُه وتُحصِيهِ ، وما كَثُرَ لا تُحصِيهِ ؛ لنُقصَانِ شُعاعِ بصَرِكَ المُنبَعِثِ مِنْ حَدَقَتِكَ ؛ فلو كَثُرَ الشُّعاعُ . . لأدركتَ الكَثيرَ كما أدرَكتَ القَليلَ ، ولو كَبُرَ الوِعَاءُ . . لأحصَيتَ الجَمِيعَ .

فالمعلوماتُ كُلِّيُّها وجُزئِيُّها في علمِ اللهِ سبحانَه وتعالىٰ في أوسَعِ بسيطٍ[1] ؛ إذ سَعَةُ عِلمِ اللهِ سبحانَه أخرَجَ المعلوماتِ مِن مَضِيقِ الخَفاءِ والخِباءِ ، وأحصَاها جميعاً بعلمٍ واحدٍ إحصاءً واحداً ؛ ما كانَ وما يكونُ .

فهو سبحانَهُ عالِمٌ على الإطلاقِ ، وسائرُ العُلومِ وجَمِيعُها هو خالقُها ومُوهِبُها ، فسَمَّىٰ نفسَهُ بذٰلكَ ؛ فسَمَّيناهُ بما سَمَّىٰ بهِ نفسَهُ ؛ حيثُ قالَ : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾[2] ، و﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[3] ، و﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا

(١) البسيطُ : المنبسطُ الواسعُ ، وكأنَّه يقول : في أوسعِ واسعٍ .
(٢) سورة الأنعام : (٧٣) .
(٣) سورة طه : (٧) .

تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[1] ، ويعلمُ خَطَراتِ الضَّمِيرِ ، ويُحصِي ذَرَّاتِ الهَباءِ في لَفْحِ الهجيرِ[2] .

ومنها : الإرادةُ : مُريدٌ على الإطلاقِ ، لا إرادةَ لأَحدٍ مِنَ الخلقِ ؛ مِنَ الجِنِّ والإنسِ ، والملائكةِ والشَّياطينِ . . إلَّا وهو مُنشِئُها ومُرِيدُ مُرادِها ، ما شاءَ كانَ ، وما لم يَشأْ لم يكُنْ ، لا يَجري في ملكِهِ مِن كُفْرٍ وإيمانٍ ، وطاعةٍ وعِصيانٍ ، وعَطاءٍ وحِرمانٍ ، وعَمدٍ وخَطأٍ ونِسيانٍ . . إلَّا بمَشِيئَتِهِ .

عَدْلٌ في جميعِ أَقْضِيَتِهِ ومُرادَاتِهِ ، غيرُ مَوصُوفٍ بالظُّلمِ في بَرِيَّتِهِ ومَصْنُوعاتِهِ ،

---

(١) سورة غافر : (١٩) .

(٢) اللَّفحُ : لفحته النَّارُ والسَّموم بحرِّها ؛ أحرقَته ، قال الأصمعيُّ : ما كان من الرياحِ له لَفحٌ فهو حَرٌّ ، وما كان له نَفحٌ فهو : بردٌ . ينظر « الصِّحاح » مادة (ل ف ح) .

والهجيرُ : نصفُ النَّهار عند اشتدادِ الحرِّ . ينظر « جمهرة اللغة » (٤٦٨/١) .

والمصنِّفُ رحمه الله يُعرِّضُ بالفلاسفةِ الَّذين قالوا : يعلمُ الكلِّيَّاتِ دون الجزئيَّاتِ ، تعالى اللهُ عمَّا يقولون علوّاً كبيراً ، والله يقول : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٠] ، ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الأنعام : ٨٠] ، و(كل) عند علماءِ اللُّغةِ : مِن ألفاظِ الشُّمولِ والعمومِ ، وكأنَّ اللهَ عنَاهم لما قال : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

قال حُجَّةُ الإسلامِ الإمامُ المُجدِّدُ أبو حامدٍ الغزاليُّ رحمه الله : (أمَّا المسائلُ الثَّلاثُ : فقد خالفُوا فيها كافَّةَ الإسلاميِّينَ ؛ وذلك في قولهم :

ـ إنَّ الأجسادَ لاتُحشَر . . .

ـ ومن ذلك قولُهم : إنَّ اللهَ تعالى يعلمُ الكُلِّيَّاتِ دونَ الجُزئيَّاتِ ، وهو كفرٌ صَريحٌ ، بل الحقُّ : أنه لا يَعزُبُ عن علمِه مثقالُ ذرَّةٍ في السَّماواتِ ولا في الأرضِ .

ـ ومن ذلك قولُهم : بقِدَمِ العالَمِ وأزليَّتِه .

فلم يذهب أحدٌ مِنَ المسلمينَ إلىٰ شيءٍ مِن هٰذه المسائلِ) . ينظر « المنقِذُ مِنَ الضَّلالِ » (ص ٧٥ ، ٧٦) .

وقد جمعَها بعضُهم في قوله :

بثلاثةٍ كفرَ الفلاسفةُ العِدا ... إذ أنكَروها وهي قطعاً مُثبَتَهْ

علمٌ بجُزئيٍّ حُدوثُ عوالمٍ ... حشرٌ لأجسادٍ وكانت مَيِّتَهْ

انظر « حاشية البجيرمي على الخطيب » (١٣٨/٢) .

لا رادَّ لأمرِهِ ، ولا مانِعَ لِقَضائِهِ : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾[1] .

وصفَ نَفسَه بالإرادَةِ ؛ فوصَفناهُ بما وصَفَ بهِ نَفسَهُ ؛ فقالَ : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2] ، وقالَ : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾[3] ، وقالَ : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾[4] .

ومنها : السَّمعُ : سَميعٌ ، يَسمعُ النِّداءَ ، ويُجيبُ الدُّعاءَ ، يَسمَعُ نِداءَ الضَّميرِ مِن غيرِ تعبيرٍ باللِّسانِ وتفسيرٍ[5] ، لا يَشغَلُهُ سَمْعٌ عن سَمعٍ ، ولا تشتَبِهُ عليهِ الأَصواتُ ، ولا تُغْلِطُهُ المَسائِلُ ، ولا تَختَلِفُ عليهِ اللُّغاتُ ، يَسمعُ حَفِيفَ الطُّيورِ[6] ، ونِداءَ الدِّيدانِ في بُطونِ الصُّخورِ ، ودَوِيَّ الحِيتَانِ في قُعُورِ البُحورِ .

ومنها : البصرُ : بصيرٌ ، يُبصِرُ دَبيبَ النَّملَةِ السَّوداءِ في حَنادِسِ الدَّيْجُورِ[7] ، ويَرىٰ في اللَّيلةِ الظَّلْماءِ تَقلُّباتِ الهَوامِّ وهي تَمُورُ ، وصَفَ نفْسَه بالسَّمعِ والبصرِ فقالَ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[8] .

ومنها : الكَلَامُ : مُتكَلِّمٌ بكَلامٍ قَديمٍ عَجَزَ عن مِثلِهِ الفُصَحاءُ ، وقَصُرَ دُونَ الإتيانِ بآيةٍ منهُ البُلَغاءُ ، ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[9] .

---

(١) سورة يونس : (١٠٧) .

(٢) سورة النحل : (٤٠) .

(٣) سورة الإسراء : (١٦) .

(٤) سورة الكهف : (٨٢) .

(٥) في (ج) : (مِن غيرِ تعبيرٍ بآلةِ البيانِ والتَّفسيرِ) .

(٦) حَفيفُ الطَّائرِ : صوتُ جناحيه .

(٧) في (ج) : علَّق النَّاسخُ في الحاشيةِ بقولِه : (الحِندِسُ : اللَّيلُ الشَّديدُ الظُّلمةُ ، وليلةٌ ديجورٌ ؛ أي : مُظلِمةٌ) .

(٨) سورة الشورىٰ : (١١) .

(٩) سورة فصلت : (٤٢) .

الفصل الرابع

في قدرة الله تعالىٰ وخلق أفعال العباد

ليسَ لأحدٍ مِنَ الخَلقِ قُدرَةٌ إلَّا بما أقدَرَه اللهُ تعالىٰ[1] ؛ فاللهُ خالِقُ القادرِ وخالقُ قُدرتِهِ ، فقُدرةُ القادِرِ وفِعلُ الفاعلِ كتأثيرِ الشَّمسِ بالحرارَةِ ، فالشَّمسُ خَلقُ اللهِ ، وتأثِيرُها في الأشياءِ ـ أيضاً ـ خَلقُ اللهِ ؛ لأنَّ المُؤثِّرَ إذا كانَ خَلقاً . . يكونُ الأثَرُ خَلقاً ، وإذا كانَ الفَاعِلُ خَلقاً . . يكونُ الفِعلُ خَلقاً .

فإنْ ظَنَّ الظَّانُّ أنَّ الفاعِلَ ذُو إرادةٍ ، بخِلَافِ الشَّمسِ . . يُقالُ لهُ : تلكَ الإرادةُ أيضاً أثَرٌ مِنَ المُريدِ ، والمُريدُ خَلقٌ أيضاً ، فتكونُ إرادتُه خَلقاً .

فإنْ أسندَ الإرادةَ إلى العلمِ . . فنَقولُ : العلمُ أثَرٌ ووصفٌ للعالِمِ ، فإذا كانَ الموصوفُ خَلقاً . . يكونُ الوصفُ أيضاً خَلقاً .

فإنْ قلتَ : إذا كانَ اللهُ خالقَ الفعلِ ، فكيفَ يُعاقِبُ علىٰ فِعلِ[2] شيءٍ خَلَقَهُ ؟

فنقولُ : كما يُعاقِبُ خَلقاً خلَقَهُ ؛ فليسَ عُقوبَتُه علىٰ ما خَلقَ بِأبعَدَ مِنْ عُقوبَتِه مَن خَلقَ[3] ، يَفعَلُ ما يشاءُ ، ويَحكُمُ ما يُريدُ ، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[4]

ثمَّ نقولُ له أيضاً : اعلمْ : بأنَّ اللهَ خلقَ الكافرَ وكُفْرَهُ ، والفاسِقَ وفِسْقَهُ ، ثمَّ أمَرَ الكافرَ بالإيمانِ ولم يَخلُق لهُ إيماناً ، فأمرُهُ إيَّاهُ بالإيمانِ قَهرٌ مَحضٌ ، وعَدمُ خَلقِهِ لإيمانِهِ قهرٌ مَحضٌ ، وإدخالُهُ النَّارَ بسببِ الكُفرِ حيثُ خلقَ لهُ الكُفرَ قهرٌ

---

(١) في (أ) : بزيادةِ (عليه) .

(٢) قوله : (فِعلِ) ساقطٌ من (أ ، ب) .

(٣) قوله : (خلقَ) : ساقط من (أ) ، والفرقُ بين الجملتينِ في المعنىٰ يَنبني على الفرقِ بين (مَن) و(ما) في اللُّغةِ .

(٤) سورة الأنبياء : (٢٣) .

مَحضٌ ؛ لأنَّه قَهَّارٌ ، وصِفَةُ القَهرِ اقتضَت ذٰلكَ بسبَبِ الكُفرِ ؛ لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾[1] .

وخَلَقَ المؤمِنَ وخلقَ لهُ إيماناً ، وخلقَ الطَّائعَ وخلقَ لهُ طَاعةً ، ولمْ يكُنْ للطَّائعِ والمُؤمِنِ في ذٰلكَ مِنَّةٌ ، وأَضافَ العملَ[2] إليهِ تكَرُّماً مَحضاً ، ولمْ تكُنْ طاعتُهُ إلَّا خَلقُ اللهِ تعالىٰ ، وأسكَنَهُ الجنَّةَ بمَحضِ الكَرَمِ والفَضْلِ والرَّحمةِ ؛ لأنَّهُ الرَّحمٰنُ الرَّحيمُ ، الغفورُ الوَدودُ .

أمَا تَرىٰ كيفَ جعلَ الآدَمِيَّ ذا مالٍ ، وقالَ : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾[3] ، والأموالُ والمُمَلَّكونَ مِلكُهُ ومُلكُهُ ؟! فقياسُك أنَّ هٰذا كيفَ ؟ ولِمَ ؟ وأنَّ هٰذا يكونُ ظُلماً . . لضِيقِ وِعَائِكَ وقُصُورِ فَهمِكَ ؛ إذْ لمْ يَنكشِفْ لكَ سِرُّ ذٰلكَ ، وتَقِيسُ أمرَ اللهِ تعالىٰ على الخَلْقِ ، جلَّ أمرُهُ سبحانَهُ عنِ القِياسِ ، وعَظُمَ عن أن يُحِيطَ بحَقِيقَتِهِ أفهامُ النَّاسِ ، وما اشتَبَهَ على الخَلْقِ مِن سِرِّ القَدَرِ فمُنِعَ الخلقُ عنِ الخَوضِ فيه ؛ لمَوضِعِ إشكَالِهِ ، وقدْ يُكشَفُ للعُلماءِ الرَّاسِخينَ بإطلَاعِ اللهِ إيَّاهُم علىٰ ذٰلكَ ؛ مِنْحةً مِنهُ سبحانَهُ وتعالىٰ[4] .

---

(١) سورة المائدة : (٧٢) ، وقوله : (بسبب الكفر . . .) إلىٰ آخر الآية : مثبت من (ب) وحدها .

(٢) في (ج) : (العلمَ) .

(٣) سورة البقرة : (٢٤٥) .

(٤) من بديع مناظرات الإمام الأشعريّ : ما دار بينه وبين أستاذِه أبي عليّ الجُبَّائيّ في شأنِ ثلاثةٍ إخوةٍ : أحدُهم كان مؤمناً برّاً تقيّاً ، والثاني كان كافراً فاسقاً شقيّاً ، والثالثُ كان صغيراً ، فماتوا ، فكيف حالهم ؟ فقال الجُبَّائي : أما الزاهد . . ففي الدَّرجات ، وأما الكَافر . . ففي الدَّرَكات ، وأما الصَّغير . . فمِن أهل السَّلامة .

فقال الأشعري : إن أراد الصغير أن يذهب إلىٰ دَرجات الزَّاهد هل يُؤذَن له ؟ فقال الجُبَّائي : لا ؛ لأنه يُقال له : إنَّ أخاك إنما وصل إلىٰ هٰذه الدَّرَجات بسبب طاعاته الكثيرة ، وليس لك تلك الطاعات .

فقال الأشعري : فإن قال ذٰلك الصَّغير : التقصيرُ ليس مني ؛ فإنك ما أبقيتني ولا أقدَرتني على الطَّاعةِ ، فقال الجُبَّائي : يقول الباري جلَّ وعلا : كنتُ أعلم أنك لو بقيت . . لعَصيت وصِرت مُستحقاً للعَذابِ الأليم ، فراعيتُ مصلحتك .

فقال الأشعري : فلو قال الأخ الكَافر : يا إلٰه العالمين ؛ كما علِمت حاله . . فقد علمتَ حالي ، فلِمَ رَاعيتَ مصلحته دوني ؟ فقال الجُبَّائي للأشعري : إنَّك لمجنون ، فقال : لا ، بل وقف حمارُ الشَّيخ في العَقبة ، فانقطَع الجُبَّائي . ينظر « وفيات الأعيان » (٢٦٧/٤) .

ثمَّ اعلمْ : أنَّهُ لا يكونُ مِنكَ فِعلٌ إلَّا بحركةِ جارِحَتِكَ ، وجارِحَتُكَ لا تَتَحرَّكُ إلَّا بإرادةٍ تَنشَأُ مِنَ القلبِ ، فلولا إرادةُ القلبِ . . ما تَحَرَّكَتِ الجارِحَةُ حرَكةً مَخصُوصَةً في أمرٍ مَخصُوصٍ ومَحلٍّ مَخصُوصٍ ، ولَكانَتِ الجارِحَةُ كالجمادِ ، فَمَا صارَ الفِعلُ فِعلاً إلَّا بإرادةِ القَلبِ ، والقَلبُ أميرُ الجوارحِ ؛ فَجارِحَتُكَ جمَادٌ لولا قَلبُكَ ، ونِسبَةُ قلبِك إلى اللهِ تعالىٰ كنِسبَةِ جارِحَتِك إلىٰ قلبِك ، فلولَا إحداثُ الإرادةِ في القلبِ وخَلقُ اللهِ تعالىٰ إيَّاها . . لكانَ القَلبُ أيضاً جَماداً ، فصارَتِ الجارِحَةُ ذاتَ فِعلٍ بالقلبِ ، وصارَ القلبُ ذا إرادَةٍ باللهِ تعالىٰ ، فاللهُ خَلَقَ الإرادةَ في القَلبِ وأَحدَثَها ، فيكونُ الفِعلُ بإرادةِ القَلبِ ، وتكونُ إرادةُ القلبِ باللهِ ، فيكونُ الفِعلُ إذاً باللهِ تعالىٰ .

فإنْ قلتَ : كيفَ يُضافُ إليَّ ضَمانُ المُتْلَفاتِ وأُرُوشُ[1] الجِنَاياتِ وتُقامُ فيَّ الحُدودُ ؟

يُقالُ لك : الفِعلُ مِنَ اللهِ تعالىٰ خَلْقاً ، ومِنكَ كَسْباً ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ خلقَ عالَمَ الحِكمَةِ ، ودبَّرَهُ بالأَسبابِ والوَسائطِ ، والآلاتِ والأَدواتِ ، وخلقَ كُلَّ شيءٍ ، وأضافَ كُلَّ شيءٍ إلىٰ شيءٍ ، والكُلُّ منهُ وبِهِ ، فلَا تَجعَلْ للشَّيءِ وُجوداً على الإستقلالِ والإستِبدادِ ، ولا تكُن قاصِرَ النَّظَرِ ، فأيُّ فِعلٍ لكَ ؟! وأيُّ وُجودٍ[2] لكَ إلَّا ما وَهَبَ لكَ وَاهِبُ الوُجودِ سُبحانَهُ وتعالىٰ ؟!

ولا تَعلَم غيرَ هٰذا ؛ حتَّىٰ لا يكونَ ما تقولُهُ وتَتَوهَّمُهُ إشراكاً في الرُّبوبيَّةِ ، واللهُ تعالىٰ يتولَّى الصَّالحينَ .

---

(١) الأروش : هي ديةُ الجوارح والأعضاء . ينظر « الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي » (ص ٣٦٦) .
(٢) في (ب) : (شيء) .

الفصل الخامس

في كلام الله تعالىٰ وخوض النّاس في ذلك

اعلم : أنَّ كلامَ اللهِ تعالىٰ عَظِيمٌ ؛ إذْ عَظَمَةُ الكلَامِ علىٰ قَدْرِ عَظَمَةِ المتَكلِّمِ بِهِ ، فكلَامُ اللهِ عَظُمَ بعَظَمَتِهِ ، وجَلَّ بجَلالِهِ ، وكَبُرَ بكِبريائِهِ ، وقَرُبَ ودَنَا بِوَعدِهِ وَوَعيدِهِ وحُدُودِهِ وأَحكامِهِ وأَنبائِهِ ، وبَعُدَ ونَأىٰ بِكُنْهِهِ وغايَتِهِ وعِظَمِ شأنِهِ وقَهرِ سُلطانِهِ وسُطوعِ نُورِهِ وضِيائِهِ ، فهو عالي الرُّتبةِ ، عَظِيمُ المنزلةِ ، ناهِيكَ بِعِظَمِ شأنِهِ قولُ اللهِ تعالىٰ : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (١)

فمِثَالُه مِن عالَمِ الشَّهادةِ : الشَّمسُ الَّتي يَنتفِعُ الخلقُ بشُعاعِها وَوَهَجِها ، ولا قُدرةَ لأَحَدٍ مِنَ الخلقِ أن يَقْرَبَ مِن جِرْمِها إنْ لو وجدَ إلىٰ ذٰلكَ سبيلاً .

فَمِنْ قائلٍ : بأنَّهُ لا حَرفَ ولا صَوتَ لمَّا عَظُمَ عليهِ أنْ يَحضُرَ ، ومِن قائلٍ : إنَّهُ حرفٌ وصوتٌ لمَّا عزَّ عليهِ أنْ يَغِيبَ ، ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ (٢)

فالقائلُ الأوَّلُ : نَفَرَ (٣) لِما رأىٰ مِن مَزْجِ الحدَثِ بالحُروفِ والأَصواتِ ، فقال : لا حَرفَ ولا صَوتَ ؛ صِيانةً للقديمِ عن مَزْجِ الحَدَثِ .

والقائلُ الثَّانِي : رأىٰ أَشِعَّةَ العَظَمَةِ القديمَةِ تَخْرِقُ أجرامَ الأصواتِ واللُّغاتِ ؛ فقالَ : هو حَرفٌ وصَوتٌ ، كما قيلَ : [من الكامل]

رَقَّ ٱلزُّجَاجُ وَرَقَّتِ ٱلْخَمْرُ ... وَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ ٱلْأَمْرُ

---

(١) سورة الإسراء : (٨٨) .

(٢) سورة البقرة : (١٤٨) .

(٣) في (هـ) : (نَفَىٰ) .

فَكَأَنَّمَـــا خَمْـــرٌ وَلَا قَـــدَحٌ وَكَأَنَّمَـــا قَـــدَحٌ وَلَا خَمْـــرُ (١)

فالسَّبيلُ الأمثَلُ والطَّريقُ الأعدَلُ ، أيُّها الإخوَانُ مِنَ الطَّائفَتَينِ : أنْ تَترُكا المُنازَعةَ فيما حمَلَ كُلُّ واحدٍ مِنَ الطَّائفتَينِ أنْ يخُوضَ فيما خَاضَ فيهِ ، ويَتَعرَّضَ لِمَا تَعرَّضَ لهُ ، إلَّا ما بُليَ بهِ مِنْ تَعلُّقِ الشُّبَهِ بِبَواطِنِ أهلِ الزَّمانِ ؛ فأَحْوَجَهُ أمرُ الوقتِ أن يَشرَعَ فيما لمْ يَشرَعْ فيهِ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ورضِيَ عنهُم ، حيثُ بُليَ بما لم يُبْلَ بهِ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِنَ الأهواءِ المختلِفَةِ ؛ وإلَّا . . فلَا يَخفَىٰ على العاقلِ أنَّ العَبدَ إذا قالَ : القرآنُ كلَامُ اللهِ تعالىٰ ، واعتقَدَ أنَّه يَجِبُ عليهِ اتِّباعُ أمرِهِ ، واجتِنابُ نَهيِهِ ، والِالتزامُ بأحكامِهِ ، وحَلالِهِ وحَرامِهِ ، واستِماعُ وَعدِهِ وَوَعِيدِهِ ، والقيامُ بحُقوقِهِ وحُدودِهِ ، ولا يتَعرَّضُ بعدَ ذٰلكَ لِقِدَمٍ وحَدَثٍ ، وتِلاوةٍ ومَتْلُوٍّ ، وحَرفٍ وصَوتٍ . . لا يَضُرُّه ذٰلكَ شيئاً ، ولا يَفُوتُهُ مِمَّا يَجِبُ عليهِ شيءٌ .

فما تصوَّرَهُ مِنَ المسألةِ : أنَّهُ إنْ لم يَقُلْ كذا . . يَلزَمُ منه كذا ؛ فلعلَّه يَعِيشُ مئةَ سنةٍ ولا يَخطُرُ بِبَالِهِ شيءٌ مِمَّا تَصوَّرَهُ ، فدَعْهُ يَمضِي لِسَبيلِهِ .

فهٰذا الطَّريقُ القَويمُ والمنهَجُ المُستقِيمُ ، وإلَّا . . فمتَىٰ تَعرَّضْتَ لِلقِدَمِ . . تعرَّضَ الخَصمُ لِلحَدَثِ ، وأنتَ تُكَفِّرُهُ وهو يُكَفِّرُكَ ، وما أرى التَّكفِيرَ إلَّا قَولاً مِن غيرِ فِعلٍ بمُقتَضاهُ ؛ فالَّذي تُكفِّرُهُ أراكَ تُخالِطُهُ وتُمازِجُهُ ، وتُوادُّهُ وتُزَوِّجُهُ ، وكَفاكَ أنَّ فِعلَكَ يُكَذِّبُ قَولَكَ ، فلا أراكَ تَزِيدُ خَصْمَكَ بقَولِكَ إلَّا إغراءً وعَصَبيَّةً وغَيظاً ، فاعمَلْ في تِلاوةِ كتابِ اللهِ آناءَ لَيلِكَ وأَطرَافَ نهارِكَ ، وتَدبَّرْهُ في صَلاتِكَ وغيرِ صَلاتِكَ ؛ فإنَّهُ كتابُ اللهِ إليكَ ، وحُجَّتُه عليكَ .

فالمُنازَعةُ في ذٰلكَ : كمَنْ يأتِيهِم كتابٌ مِن سُلطانٍ يأمرُهُم فيهِ وينهاهُم ،

---

(١) هما للصاحب إسماعيل بن عبَّاد ، كما في « وفيات الأعيان » (١/٢٣٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/٥١٣) ، وانظر « ديوانه » (ص ١٧٦) .

فَهُم يتَشَاجَرُونَ في أنَّ الكتابَ : كيفَ خَطُّهُ ؟ وكيفَ عِبارَتُهُ ؟ وأيُّ شيءٍ فيهِ مِن صَنْعَةِ الفَصَاحَةِ والبَلاغَةِ ؟ ويَذْهَلُونَ عن صَرْفِ الهَمِّ إلى الِانتِدابِ إلىٰ ما نُدِبُوا إليهِ ، واللهُ بفَضلِهِ يُلهِمُ الصَّوابَ .

الفصل السادس

القول في الآيات والأخبار الواردة في الصفات

أخبرَ الحقُّ سبحانه وتعالىٰ أنَّهُ اسْتَوىٰ ؛ فقالَ تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[1] .

وأخبرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالنُّزُولِ وغيرِ ذٰلكَ مِمَّا جاءَ في اليدِ والقَدَمِ والتَّعجُّبِ والتَّردُّدِ .

وكلُّ ما وَرَدَ مِن هٰذا القَبيلِ دَلائلُ التَّوحيدِ ، فلا تتصرَّفْ فيها بِتَشبيهٍ وتَعطِيلٍ ؛ فلَولا إخبارُ اللهِ تعالىٰ ، وإخبارُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ . . ما تَجاسَرَ عقلٌ أن يَحُومَ حولَ ذٰلكَ الحِمَىٰ ، وتَلاشَىٰ دونَ ذٰلكَ عقلُ العُقلاءِ ولُبُّ الأَلِبَّاءِ ، فاللهُ تعالىٰ دَنا مِن عبادِه بما أَخبرَ ، ودلَّ علىٰ نَفسِهِ بما أظهرَ ، ورفَعَ حِجاباً مِنَ الحُجُبِ عن وَجهِ الكِبْرِياءِ ، وكَشَفَ شيئاً مِن سُبُحَاتِ العَظَمَةِ والعَلاءِ ، فكُلُّ أخبارِ الصِّفاتِ تَجلِّياتٌ إلٰهيَّةٌ ، وكُشُوفٌ وأَلطافٌ جَلِيَّةٌ ، عَقَلَ مَن عَقَلَ ، وَجَهِلَ مَن جَهِلَ ، فلا تَبعُدْ عنِ اللهِ بالتَّشبيهِ وقدْ قَرُبَ مِنكَ ، ولا تَفِرَّ منهُ بالتَّعطِيلِ وقدْ دَنَا إليكَ ، أَطلِقْ لِسانَ الإستِواءِ وأَعرِضْ عنِ الكَيفِيَّةِ ، وهٰكذا سائرُ الصِّفاتِ ، فهو سبحانَهُ بما تَجلَّىٰ لعِبادِهِ بهٰذهِ الأَخبارِ ظَاهِرٌ ، وبما قَصُرَتِ العقولُ عن إدراكِ كُنْهِها وكَيفِيَّتِها باطِنٌ ، فلا تَستَكشِفْ مِن عَظِيمِ شأنِهِ ما بَطَنَ ، ولا تَستَشِفَّ مِن عُلُوِّ سُلطانِهِ ما انكَمَنَ .

وإيَّاكَ ـ أيُّها الرَّاغِبُ في الدُّنيا ، الغالِبُ عليهِ محبَّةُ الجَاهِ والعُلُوِّ والرِّفعةِ بينَ النَّاسِ ـ أن تَتَصَرَّفَ فيها بعِلمِكَ ؛ فإنَّها أَسرارٌ وإنْ كانَتْ أَخباراً ، وأَنتَ مَريضٌ ؛

---

(١) سورة طه : (٥) .

فَداوِ أوَّلاً مِزاجَ قلبِكَ مِنْ مَرَضِ الميلِ إلى الدُّنيا الفانِيَةِ ؛ حتَّىٰ يَستَقِيمَ مِزاجُ عَقلِكَ .

ثمَّ اعلمْ : أنَّ المُتصرِّفِينَ في ذٰلكَ مِنَ الطَّوائفِ مأجُورونَ ؛ مِن حيثُ إنَّهُم قَصَدُوا التَّوحِيدَ ، ومُؤاخَذُونَ مِن حيثُ إنَّهُم عَدَلُوا عنِ المنهَجِ القَويمِ ، والإخلادِ إلى التَّشبِيهِ والتَّعطِيلِ .

فانظُر ـ أيُّها المُنصِفُ ـ ودَعْ عنكَ الهوَىٰ والعَصبِيَّةَ ، ورَاجِعْ فِكرَكَ مِن غيرِ فَظاظَةٍ وغِلَظٍ ، واتَّقِ اللهَ في نفسِكَ ودِينِكَ أن تُطلِقَ القَولَ في أَخِيكَ المُسلمِ بِسُرْعَةِ طَبْعِك ونُفُورِ نفْسِكَ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ عندَ كَلِمَةِ كلِّ قائلٍ .

واعلمْ أيُّها الأخُ الحَنبليُّ : أنَّ أَخاكَ الأشعريَّ ما ذَهبَ إلى التَّأويلِ إلَّا لِمَا تَوهَّمَ مِن مُخامَرةِ البَواطنِ مِنَ التَّشبِيهِ والتَّمثِيلِ ، ولو سَلِمَ لهُ مُجرَّدُ الإستواءِ . . ما أوَّلَ ، وأيُّ حاجَةٍ كانَ لهُ إلىٰ ذٰلكَ لولَا خَوفُ التَّشبيهِ ؟!

وأيُّها الأخُ الأَشعَرِيُّ : أنَّ أَخاكَ الحَنبليَّ خَوفُهُ مِنَ النَّفيِ والتَّعطِيلِ حمَلَهُ على المُبالَغةِ والإصرارِ ، ومُخامَرَةٍ خَفِيَّةٍ مِنَ الإستِقرارِ .

فَلْيُصالِحْ أَحَدُكما الآخَرَ ؛ يُزِيحُ الحَنبليُّ عنْ باطنِهِ المُخامَرةَ الخَفِيَّةَ في الإستقرارِ ؛ فالإستواءُ لا يَفُوتُهُ ، ويُزِيحُ الأَشعريُّ عنْ باطنِهِ خَوفَ التَّشبِيهِ ، ولا يَخلُدُ إلى التَّأويلِ ؛ فالإعترافُ بمُجرَّدِ الإستِواءِ لا يَضُرُّهُ .

ولْيقُولَا جميعاً ؛ إثباتاً مِن غيرِ تَشْبِيهٍ ، ونَفياً مِن غيرِ تَعطِيلٍ : آمَنَّا بما قالَ اللهُ علىٰ ما أرادَ اللهُ ويَلِيقُ باللهِ ، وآمَنَّا بما قالَ رسولُ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ علىٰ ما أرادَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ .

فَعِلمُ تلكَ الأسرارِ مَوكُولٌ إلى اللهِ ورسُولِهِ .

وما أحسَنَ قَولَ القائلِ : (الإستِواءُ مَعلُومٌ ، والكَيْفِيَّةُ مَجْهُولَةٌ ، والإيمانُ بهِ واجِبٌ ، والسُّؤالُ عنه بِدعَةٌ) ![1] .

---

(١) انظر « الاعتقاد » للبيهقي (ص ١١٩) .

ثمَّ أَزيدُ إيضَاحاً وتَوطِئةً لِلصُّلحِ ، واللهُ يَعلَمُ أنَّ القصدَ فيه صالِحٌ ، ومِن أَتمِّ العباداتِ إجراءُ إصلاحِ ذاتِ البَيْنِ ، ويَدعُو إلىٰ هٰذا الفنِّ مِنَ الإيضاحِ ما نُقِلَ عن طائفةٍ مِنَ السَّلفِ التَّصريحُ بالإستِقرارِ في تفسيرِ الإستِواءِ[1] :

اعلَم : أنَّ البَواطِنَ في زَمنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وفي غيرِ زَمانِه لم تكُن علىٰ صِفَةٍ واحدةٍ مِن حيثُ غَرائِزُها وجِبلَّاتُها ؛ بلْ بعضُها كانَتْ أَقوَىٰ مِن بَعضٍ ، وأَتـمُّ فَهماً وعِلماً ، وأَكمَلُ استِعداداً ، ولِاختِلافِ الإستِعداداتِ تَنوَّعت مَراتِبُ الدَّعوةِ ، قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[2] ؛ فلِسانُ الحِكمَةِ جُعِلَ رُتْبةً في الدَّعوةِ لبَواطِنَ قابِلَةٍ لذٰلكَ صالِحَةٍ لهُ ، ولِسانُ المَوعِظَةِ لِبَواطِنَ أُخَرَ صالِحَةٍ لذٰلكَ ، والمُجادَلَةُ لآخَرِينَ ؛ فكانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُكلِّمُ النَّاسَ علىٰ قَدْرِ عُقُولِهم[3] ؛ وبِنُورِ باطنِه الصَّافِي يُشْرِفُ على البَواطِنِ ويُودِعُ في كُلِّ وِعاءٍ ما يَصْلُحُ لهُ .

---

(١) من ذٰلك : ما أخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » (٨٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قَوْلِهِ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، يَقُولُ : اسْتَقَرَّ عَلَى الْعَرْشِ ، وَيُقَالُ : امْتَلَأَ بِهِ ، وَيُقَالُ : قَائِمٌ عَلَى الْعَرْشِ ، وَهُوَ : السَّرِيرُ .

وقال ابنُ جماعة في « إيضَاح الدَّليل في قَطع حجج أهلِ التعطيل » : (ص ٤٣) : (وما نُسِب إلى ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قالَ في قولِه تعالى : ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ : استقر على العَرشِ وقد امتَلأ به ، أو صَعد إليه ، أو استَوت عنده الخَلائقِ ، وما إلىٰ ذٰلك . . فذٰلك من روايةِ أبي صالح ومحمد بن مَروان الكَلبي . قال البيهقي : كُلهم متروكٌ عند أهل العلمِ بالحديثِ ، لا يحتجُّون بشيءٍ من رواياتِهم ؛ لكثرةِ المناكِير فيها ، وظهورِ الكَذبِ منهم في رواياتِهم) . وانظر « الأسماء والصِّفات » للبيهقي (٣١١/٢) .

(٢) سورة النحل : (١٢٥) .

(٣) أخرج خيثمة بن سليمان في « حديثه » (ص ٧٥) ، من مَراسيل سعيدِ بن المُسيّب ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّا معاشرَ الأنبياءِ كذٰلك أُمرنا أن نكلِّمَ النَّاسَ بقَدْرِ عُقولِهم » .

وأخرج البخاري (١٢٧) عن عليٍّ رضي الله عنه قال : (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ؛ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ ؟!) .

وأخرج مسلم في « مقدمة الصحيح » (١١/١) ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْماً حَدِيثاً لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ . . إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً » .

فلا تَظُنَّ أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حيثُ أطلقَ القولَ في النُّزولِ[1]، ونَزلَتْ عليهِ آيةُ الإستِواءِ.. كان عندَ الكُلِّ مِنَ المُستَمِعِينَ[2] فَهْمُ ذٰلكَ على السَّواءِ؛ بلْ تَفاوتُوا في الفَهمِ علىٰ حَسَبِ تَفَاوُتِهِم في كُلِّ زَمانٍ.

والنَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ اطَّلَعَ علىٰ تَنوُّعِ فُهُومِ البَواطِنِ، وقَرَّرَ[3] كلَّ ذِي عَقْلٍ علىٰ عَقْلِهِ، وكلَّ ذِي فهمٍ علىٰ فهمِهِ، وحيثُ أشارَتِ الخَرْسَاءُ[4] إلى السَّماءِ.. اكتَفىٰ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ منها بذٰلكَ إيماناً وتَوحيداً.

---

(١) يُشيرُ إلىٰ أحاديثِ النُّزول، ومنها ما أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟».

وقد جَمَعَ الحافظ الدارقطني كتاباً في أحاديث النزول.

(٢) يعني: من سمعوا منه مشافهة بلا واسطة، ومن سمعوا منه بوساطة أو وسائط؛ بدلالة قوله: (تَفَاوُتِهِم في كُلِّ زَمانٍ).

(٣) قَرَّرَ الأمرَ: رضِيَه وأمضاه، ويُقال: قرَّرَ المسألةَ أو الرَّأي؛ وضَّحه وحقَّقه. ينظر «المعجم الوسيط» مادة (ق ر ر).

قلتُ: وعلى المعنى الأول يَنسجِبُ كلامُ المصنِّفِ رحمه الله.

(٤) يشير إلىٰ حديث سيدنا معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه، وفيه قول النَّبي صلى الله عليه وسلم للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، أخرجه مسلم (٥٣٧).

وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢٤٩٦/٥): (ليس في شيءٍ مِن طُرقِه أنَّها خرساء).

وقال النووي في «شرح صحيح مُسلم» (٢٤/٥): (هٰذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَفِيهَا مَذْهَبَانِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا مَرَّاتٍ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ؛ أَحَدُهُمَا: الْإِيمَانُ بِهِ مِنْ غَيْرِ خَوْضٍ فِي مَعْنَاهُ، مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَتَنْزِيهِهِ عَنْ سِمَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ. وَالثَّانِي: تَأْوِيلُهُ بِمَا يَلِيقُ بِهِ؛ فَمَنْ قَالَ بِهٰذَا.. قَالَ: كَانَ الْمُرَادُ امْتِحَانَهَا: هَلْ هِيَ مُوَحِّدَةٌ تُقِرُّ بِأَنَّ الْخَالِقَ الْمُدَبِّرَ الْفَعَّالَ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ؟ وَهُوَ الَّذِي إِذَا دَعَاهُ الدَّاعِي اسْتَقْبَلَ السَّمَاءَ؟ كَمَا إِذَا صَلَّى الْمُصَلِّي.. اسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ، وَلَيْسَ ذٰلِكَ لِأَنَّهُ مُنْحَصِرٌ فِي السَّمَاءِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مُنْحَصِراً فِي جِهَةِ الْكَعْبَةِ، بَلْ ذٰلِكَ لِأَنَّ السَّمَاءَ قِبْلَةُ الدَّاعِينَ، كَمَا أَنَّ الْكَعْبَةَ قِبْلَةُ الْمُصَلِّينَ، أَوْ هِيَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ الْعَابِدِينَ لِلْأَوْثَانِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فَلَمَّا قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ.. عَلِمَ أَنَّهَا مُوَحِّدَةٌ، وَلَيْسَتْ عَابِدَةً لِلْأَوْثَانِ...).

غيرَ أنَّ البَواطِنَ جَميعَها كانَتْ في ظِلِّ فِنَاءِ العِصْمَةِ ، غَشِيَها وَقَارُ النُّبُوَّةِ وأُبَّهةُ الرِّسالَةِ ، فلَم يَظهَرْ بينَهم نِزَاعٌ ، ولا اشْتَهرَ خِلافٌ ؛ فبَقِيَتِ النُّفوسُ راكِدَةً راقِدَةً عنِ استِعْجالِها وطَيْشِها وسُرْعَةِ نُفُورِها ، وكلَّما تمادَى الوقتُ ، وتَوارَتْ أشِعَّةُ شَمسِ العِصْمَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وبَعُدَ عَهْدُ الرِّسالَةِ . . دَبَّ الخِلافُ والإختِلافُ [1] في الأُمَّةِ إلىٰ أن تَفاحَشَ وكَثُفَ ، وأفضَى الأمرُ إلى التَّكفيرِ والسَّبِّ ، وَوَثَبَتِ النُّفوسُ وُثُوبَ الثُّعبانِ ، وظَفِرَ بتَكدُّرِ صَفْوِ العقائدِ الشَّيطانُ .

فإذا عَلِمتَ هٰذا السِّرَّ . . فاعلَم : أنَّ الغَرائِزَ على اختِلافِها وتَنوُّعِها لا تَتَّفِقُ البَواطِنُ علىٰ صَفاءِ الفَهمِ ، ولا تَهتَدِي بأَسرِها إلى الحقِّ الصِّرْفِ ، ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ [2] ، ولٰكنِ انظُرْ إلى المقاصِدِ ؛ إذْ كُلٌّ مِنهم يَتحرَّىٰ ويَجتهِدُ في إصابَةِ الصَّوابِ ، فمَنْ رَأيتَهُ تحتَ عِصْمَةِ الإسلامِ ، مُلتَزِماً بالأَحكامِ ، مُعتَرِفاً بالحلالِ والحرامِ ، مُتوجِّهاً إلى الكعبَةِ البيتِ الحَرامِ . . اعتَقِدْ أنَّهُ أَخوكَ المسلمُ .

ثمَّ اعلم : أنَّ كثيراً مِن أَهلِ العلمِ قدْ يَظهَرُ لهم صِحَّةُ قَولِ الخصْمِ ، ولٰكنْ لما يَرىٰ أنَّ الأَتباعَ مِنَ العَوامِّ مُلتَزِمونَ بِعَقِيدَتِهِ يَكرَهُ أن يُظْهِرَ ما يُضمِرُهُ ؛ كي لا يَكْسَدَ سُوقُهُ عندَهُم ، فانظُر إلىٰ هٰذه الفِتنَةِ ! إذْ يَصِيرُ العالِمُ تَبَعاً للعامِيِّ ، وكانَ الأَجْدَرُ أنْ يكونَ الأَمرُ بعكسِ ذٰلكَ ، واللهُ المُستعانُ علىٰ ما نَزَغَ بهِ الشَّيطانُ .

---

(١) قال الكفوي في « الكُلِّيَّات » (٦١/١) : (الاختلافُ مِن آثارِ الرَّحمةِ ، والخلافُ مِن آثارِ البِدعةِ ، ولو حَكَّمَ القاضي بالخلافِ ورُفِعَ لغيرِه . . يجوز فسخُه ، بخلافِ الاختلافِ ؛ فإنَّ الخِلافَ هو ما وَقَعَ في محلٍّ لا يجوز فيه الاجتهادُ ؛ وهو ما كان مخالفاً للكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ) .

(٢) سورة هود : (١١٨ ـ ١١٩) .

الفصل السابع

في رؤية الله تعالى وتقدس

صَحَّ في الخبرِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إنَّ لِلّهِ سَبْعَةً وَسَبْعِينَ حِجَاباً مِنْ نُورٍ ، لَوْ كُشِفَ وَاحِدٌ مِنْهَا . . أَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَنْ أَدْرَكَتْهُ »[1] .

رُؤيةُ العِيانِ مُتعذِّرَةٌ في هٰذه الدَّارِ ؛ لأنَّها دارُ الفَناءِ ، وإنَّ الآخِرَةَ هي دارُ القَرارِ[2] ، فهٰذا الحديثُ مُشتركُ الدَّلَالةِ ؛ دليلٌ لمَن أنكرَ الرُّؤيةَ مِن حيثُ أخبرَ أنَّه لو كَشَفَ . . أحرَقَ ، ودليلٌ لمن أثبَتَ الرُّؤيةَ مِنْ حيثُ جعلَ رُؤيةَ الكَشْفِ مَعذوقاً بالإحراقِ والإفناءِ والإهلَاكِ ؛ وإنَّما يكونُ ذٰلك إذا ورَدَتِ الرُّؤيةُ علىٰ مَحلٍّ قابِلٍ للفَناءِ والهلاكِ ؛ فالعبدُ إذا تَبوَّأ دارَ القَرارِ ، وأُلبِسَ خِلَعَ البقاءِ والاستقرارِ ، وصار يَعُومُ في بحرِ الأنوارِ ، وقَعَدَ في مَقْعَدِ الصِّدقِ ومَخْدَعِ الوِصالِ . . ينطلقُ مِن وَثاقِ الفَناءِ والزَّوالِ ، فتُكشَفُ حينَئِذٍ الحُجُبُ ، وتَتَجَلَّى السُّبُحاتُ ، فتُصادِفُ مَحلاً أَمِنَ مِنَ الاحتراقِ والآفاتِ ، وصارَتِ الصِّفاتُ علىٰ غيرِ طبيعَةِ هٰذه الصِّفاتِ ، وكلَّما أُترِعَتْ له كُؤوسُ التَّجلِّي . . استَغاثَ بـ (هَلُمَّ) و(هاتِ) .

---

(١) أورده الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١٠١/١) ، بنحوه ، وأخرج أبو الشيخ في « العظمة » (٦٦٩/٢) من حديث سيدنا أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبريلَ : « هَلْ تَرَىٰ رَبَّكَ ؟ قَالَ : إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سَبْعِينَ حِجَاباً مِنْ نَارٍ أَوْ نُورٍ ، لَوْ رَأَيْتُ أَدْنَاهَا . . لَاحْتَرَقْتُ » .

وأخرجه أيضاً (٦٦٧/٢) من حديث زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنحو حديث أنسٍ رضي الله عنه .

وفي « صحيح مسلم » (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ الله عنه قال : قام فِينا رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمسِ كلماتٍ ، فَقالَ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ - وَفِي رِوَايَةٍ : النَّارُ - لَوْ كَشَفَهُ . . لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ » .

(٢) في (ج) : (والآخرة دارُ البقاء) .

فسُبحانَهُ وتعالىٰ تَراهُ القلوبُ بِنَظَرِ الإيمانِ في الدُّنيا ، وتَراهُ الأبصارُ بِنَظَرِ العِيَانِ في الأُخْرىٰ ؛ صَحَّ الخبَرُ : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ ٱلْقَمَرَ لَيْلَةَ ٱلْبَدْرِ ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ »[1] .

شَبَّهَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ النَّظرَ بالنَّظَرِ ، لا المَنظُورَ بالمَنْظُورِ .

فَلِقَومٍ مِنَ العُلَماءِ نصيبٌ مِن علمِ اليقينِ في الدُّنيا ، ولآخَرِينَ أَعلَىٰ منهم رُتبةً نَصِيبٌ مِن عَينِ اليقينِ ؛ كما قالَ قائِلُهم[2] : رأَىٰ قَلبِي ربِّي ، وكما قال حارِثَةُ : (أَصبَحتُ مؤمِناً حقّاً)[3] ، حيثُ كُشِفَ لهُ رُتبةٌ في الإيمانِ غيرَ الرُّتبَةِ الَّتي علِمَها .

ولهٰذهِ المُطالَعَةِ كانَ مُعاذٌ يقولُ : (تعالَوا حتَّىٰ نُؤمِنَ سَاعةً)[4] .

وهٰذا يدلُّكَ علىٰ تَفاوُتِ الإيمانِ وزِيادَتِهِ ونُقْصَانِهِ ، وهو مَذْهَبُ بعضِ العُلماءِ ، ومذهبُ البعضِ : أنَّه لا يَزيدُ ولا يَنْقُصُ ، وكُلُّ قائلٍ فلِقَولِهِ وجْهٌ ومَخرَجٌ .

فقدْ يَصِيرُ لجَمعٍ مِنَ العُلماءِ المتَّقِينَ الزَّاهِدِينَ عينُ اليقينِ ؛ بِحَيثُ يُناهِزُ إيمانُهُم المحْسُوسَ ، كما قالَ قائلُهم[5] : (لو كُشِفَ الغِطاءُ . . ما ازدَدْتُ يَقِيناً) ، يصيرُ الغيبُ عندَهُم كالعَينِ ، ويَزدادُونَ في القِيامَةِ رُتبةً في الرُّؤيَةِ غيرَ ما وصَلوا إليها في الدُّنيا .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤) ومسلم (٦٣٣) من حديث سيدنا جرير رضي الله عنه بنحوه .

(٢) نسبه الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١٥/٣) لسيدنا عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه .

(٣) أخرجه البزار في « المسند » (٦٩٤٨) ، والبيهقي في « شُعَب الإيمان » (١٠١٠٦) من حديث سيدنا أنسٍ رضي الله عنه ، وأخرجه السُّلَمي في « الأربعين في التَّصوُّف » (٥) ، والبيهقي في « شُعب الإيمان » (١٠١٠٧) من حديث سيدنا الحارث بن مالك رضي الله عنه .

(٤) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلَّام في « الإيمان » (٢٠) ، وابن أبي شيبة في « الإيمان » (١٠٥) بنحوه .

(٥) نسبه القشيري في « الرسالة » (ص ٤٣٤) إلىٰ عامر بن عبد القيس ، وقال ابنُ قيم الجوزية في « مدارج السالكين » (٤٠٠/٢) : (ليس هٰذا مِن كلامِ رسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّم ، ولا مِن قولِ عليٍّ ، كما يظنُّه مَن لا عِلمَ له بالمنقولات) .

فيا أيُّها الأخُ المُنكِرُ للرُّؤيةِ ؛ ليسَ الأمرُ علىٰ ما بلَغَهُ فَهمُكَ ؛ لأنَّكَ ما فَهِمتَ الرُّؤيةَ إلَّا بواسِطَةِ الأَشِعَّةِ المُنبَعِثَةِ مِنَ الحَدَقةِ ، وَشَرطِ اعتِدَالِ المسافَةِ والهواءِ الشَّفَّافِ .

وهٰذا الفَنُّ الَّذي فَهِمْتَه عالَمُ الملكِ والشَّهادَةِ ، والعينُ والحَدَقةُ يومَ القِيامةِ لا تَبقَىٰ علىٰ هٰذه الطَّبيعَةِ المفهُومَةِ في الدُّنيا ، وتَنخرِقُ القُدرةُ إلى الحِكمَةِ ، والحِكمَةُ إلى القُدرةِ ، والقلبُ إلى العَينِ ، والعَينُ إلى القلبِ ، ويكونُ الهواءُ غيرَ ما عَلِمْتَهُ ، والشُّعاعُ غيرَ ما فهِمتَهُ ، والألوانُ والأكوانُ علىٰ غيرِ مألُوفِكَ ومَعهُودِكَ ، و﴿ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[1] .

فأيُّها المَحصُورُ في عالَمِ المُلكِ والشَّهادَةِ ؛ ابرُزْ إلىٰ عالَمِ المَلَكُوتِ والغَيبِ ، واصعَدْ مِن مُقَعَّرِ الجهاتِ والآلاتِ والأدَواتِ ، وقُل : آمنتُ بأنَّ اللهَ يراهُ المؤمِنُونَ ، والكفَّارُ عنهُ مَحجُوبونَ ؛ كما أخبرَ بهِ التَّنزيلُ ، وقامَ علىٰ صِحَّتِهِ واضِحُ البُرهانِ والدَّليلِ .

وهٰذا الفنُّ علمٌ مستَقِلٌّ بنفسِهِ ، ولهُ علماءُ مَوجُودونَ في الدُّنيا ، فاطلُبْهُم واصحَبْهُم ؛ حتَّىٰ تَشمَلَكَ بَرَكَتُهم ، وتَنفَتِحَ بَصيرتُكَ ، فتَعلَمَ أنَّ القُدرةَ كيفَ تَنخَرِقُ[2] إلى الحكمَةِ ، وكُلُّ هٰذا الَّذي تَسمَعُه تَراهُ وتُشاهِدُهُ ، ولا تَجنَحْ إلىٰ قولِهِ سُبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[3] ؛ فليسَ ذٰلكَ دَليلاً يَنفِي الرُّؤيةَ .

واعلَمْ : أنَّ العَينَ في الآخرةِ بمنزلةِ القَلبِ في الدُّنيا ، والقَلبُ يعلَمُ ويَرىٰ ، ولٰكنْ لا يُدرِكُ ؛ إذِ الإدراكُ غَيْرٌ ، والرُّؤيَةُ غَيْرٌ ؛ فهو سُبحانَهُ وتعالىٰ مَرئِيٌّ للقلبِ ، مَعلُومُهُ غيرُ مُدرَكٍ له ، وهٰكذا في القِيامةِ مَرئِيٌّ للعَينِ غيرُ مُدرَكٍ لها ؛

---

(١) سورة إبراهيم : (٤٨) .

(٢) في (ب) : (فتعلم كيف تَنخَرِقُ القدرةُ إلى الحكمةِ) .

(٣) سورة الأنعام : (١٠٣) .

إذْ جَلَّ أمرُه عنِ الإدراكِ ، إذِ الإدراكُ يُؤذِنُ بالإشتراكِ ، وهو سُبحانَهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، ولا شَبيهَ لهُ ، ولا نَظِيرَ لهُ .

ثمَّ اعلمْ : أنَّ الرُّؤيةَ لو كانَتْ كما فَهِمتَ بواسِطَةِ الأشِعَّةِ والحَدَقةِ . . لاتَّحَدَتْ وما تَفاوَتَتْ ولا اختَلَفَتْ ، وليسَ الأمرُ كذٰلكَ ، بلِ الخلقُ مُتفاوِتُونَ في الرُّؤيةِ علىٰ قَدْرِ تَفاوُتِهم في رُتَبِ العُبودِيَّةِ ومَنازِلِ القُرْبِ ؛ فَلِلأنبياءِ علَيهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ في الرُّؤيَةِ رُتبةٌ ، ولِلأولياءِ رُتبةٌ ، ولِعامَّةِ المؤمنينَ رُتبةٌ .

ولولا تَجنُّبُ الواقعِ والقِياسِ في هٰذا الفنِّ ـ والتَّوقِّي مِنَ التَّوفيقِ ـ . . أمْكنَ أنْ يُقالَ : يَراهُ المؤمنونَ يومَ القِيامةِ كما يَراهُ الأولياءُ في الدُّنيا ، ولٰكنْ تكونُ الرُّؤيةُ باشتِراكِ البَصَرِ والبَصيرَةِ ، ويَصيرانِ بِطَبْعٍ واحدٍ وصِفَةٍ واحدةٍ ، ويَراهُ الأولياءُ كما يَراهُ الأنبياءُ في الدُّنيا ، ويَتفاوَتُونَ علىٰ هٰذا المنهجِ في رُتبَتِهم في النُّبُوَّةِ والرِّسالَةِ ، ويراهُ خَواصُّ الأنبياءِ كما رآهُ نَبيُّنا محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ليلةَ المعراجِ[1] ، ويَزدادُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ رُتْبةً في الرُّؤيةِ ، ويُوشِكُ أنْ تكونَ تلكَ الرُّتبةُ هي المَقامَ المحمودَ الَّذي وُعِدَهُ[2] ، لا يُشارِكُهُ فيهِ غيرُهُ .

فلا تَنْحَصِرْ في مَضِيقِ عِلمِكَ وفَهمِكَ ؛ جلَّ المَلِكُ القُدُّوسُ عمَّا تُكيِّفُه النُّفوسُ .

---

(١) أخرج البخاري في (٣٨٨٨) من طريق سيدنا ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في قَولِهِ تَعالَىٰ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] قَالَ : (هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ ، أُرِيَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَىٰ بَيْتِ المَقْدِسِ) .

(٢) الثابتُ في الأخبارِ : أنَّ المقامَ المحمود هو الشفاعة ؛ كما أخرج البخاري (٤٧١٨) من حديث ابنِ عُمرَ رضي الله عنهما ، يَقُولُ : (إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا ، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا ، يَقُولُونَ : يَا فُلَانُ ؛ اشْفَعْ ، يَا فُلَانُ ؛ اشْفَعْ ، حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَٰلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللهُ المَقَامَ المَحْمُودَ) .

وأخرج أيضاً (٧٤٤٠) من حديث سيدنا أنسٍ في حديثِ الشفاعةِ الطويل ، وفيه : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال : « هَٰذَا ٱلْمَقَامُ ٱلْمَحْمُودُ ٱلَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

الفصل الثامن

في شهادة أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وسلم

ونشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، أُرْسِلَ ﴿ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[1] .

أيَّدَهُ بالمُعجزاتِ الظَّاهرَةِ ، والبراهينِ الباهِرَةِ[2] ؛ انشقَّ له القَمَرُ ، وسلَّمَ عليهِ الحَجَرُ[3] ، وتابَعَهُ أُمَمٌ مِنَ الجِنِّ المتمرِّدِينَ ، وانقَهَرَ لرسالَتِهِ عُتاةُ الشَّياطينِ ، وكلَّمَهُ الذِّراعُ المسمُومُ[4] ، وانهَمَلَتْ بدعوَتِهِ عَزالى الغُيومِ ، وكلَّمَهُ البَعِيرُ[5] ، وطابَ بِرِيقِهِ البِئرُ[6] ، ونَبَعَ الماءُ مِن بينِ أصابعِه

---

(١) سورة التوبة : (٣٣) .

(٢) اعتنى العلماء بجَمْع معجزاته صلى الله عليه وسلم في كتب السيرة والدلائل وغيرها ، وقد أورد المؤلِّف نُخبةً منها ، سأكتفي بتوثيق الوارد منها في السُّنَّة النبوية ، دون ما ورد في القرآن الكريم ؛ كانشقاق القمر ، ومتابعة الجن له ، ونزول الملائكة لنصرته .

(٣) أخرج مسلم (٢٢٧٧) من حديث سيدنا جَابِرِ بن سَمُرَةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ » .

(٤) أخرج أبو داوود (٤٥١٤) من حديث سيدنا أبي هُريرة رضي الله عنه ، وفيه : فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً سَمَّتْهَا ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْهَا ، وَأَكَلَ الْقَوْمُ ، فَقَالَ صلَّى الله عليه وسلَّم : « ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ ؛ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ » .

(٥) أخرج أبو داوود (٢٥٤٩) من حديث سيدنا عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قَالَ : أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثاً لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَداً مِنَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَدَفاً ، أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ ، قَالَ : فَدَخَلَ حَائِطاً لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَإِذَا جَمَلٌ ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . . حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ ، فَسَكَتَ ، فَقَالَ : « مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ ؟ » ، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ : لِي يَا رَسُولَ اللهِ ، فَقَالَ : « أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا ؟ فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ » .

(٦) أخرج مسلم (١٨٠٧) من حديث سيدنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : قَدِمْنَا الْحُدَيْبِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِئَةً ، وَعَلَيْهَا خَمْسُونَ شَاةً لَا تُرْوِيهَا ، قَالَ : فَقَعَدَ ←

انفجاراً[1] ، ونَزَلَتْ لِنُصرَتِهِ الملائكةُ جِهاراً . . . إلى غيرِ ذٰلك مِنَ المعجزاتِ والآياتِ الَّتي لا تَنحَصِرُ .

ومِن أكبرِ المُعجزاتِ : سُوَرُ القُرآنِ ، ولٰكنْ لا يَنكَشِفُ وجهُ الإعجازِ فيه إلَّا لِرَيَّانَ مِنَ الإيمانِ والعِرْفانِ .

جُعِلَ قلبُهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ مَوردَ الإلهامِ ، ولسانُهُ مَصدَرَ الأحكامِ ، لا يَنطِقُ عنِ الهوىٰ ، ولا يَأمُرُ إلَّا بالتَّقوىٰ ، نُسِخَ بِدينِهِ سائِرُ المِلَلِ والأديانِ ، وأَزالَ الكتابُ المُنْزَلُ عليهِ حُكمَ سائرِ الكُتُبِ المُنْزَلَةِ في سالفِ الأزمانِ .

ونُؤمِنُ بجميعِ الأنبياءِ والرُّسُلِ والملائكةِ ، ونعتقدُ أنَّ السَّماواتِ بِهِم مَشحُونَةٌ ، وأنَّ مِنْهم مَنْ يَنزِلُ الأرضَ ، ومِنْهم الكروبيُّون والرَّوحانيُّونَ ، ومِنْهم حمَلَةُ العرشِ ، والكرامُ الكاتِبونَ الموَكَّلونَ ببني آدمَ ، ومِنْهم جبريلُ ، وميكائيلُ ، وإسرافيلُ ، وعِزرائيلُ[2] قابِضُ الأرواحِ ، ومنْهم خَزَنةُ الجِنانِ ، وزَبانِيَةُ النِّيرانِ ، ومالكٌ ورِضْوانُ[3] ، كُلُّ ذٰلكَ نُؤمِنُ بهِ ونُقِرُّ بحقِيقَتِهِ .

← رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ جَبَا الرَّكِيَّةِ ، فَإِمَّا دَعَا ، وَإِمَّا بَصَقَ فِيهَا ، قَالَ : فَجَاشَتْ ، فَسَقَيْنَا وَاسْتَقَيْنَا .

وأخرج الطبراني في « المعجم الكبير » (١٩/٢٦٣) (٥٨٥) من حديث أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ الْخَزْرَجِيِّ رضي الله عنه وكان لَهُ بِئْرٌ بِالْمَدِينَةِ يُقَالُ لَهَا : بِئْرُ بُضَاعَةَ قَدْ بَصَقَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهُوَ يُبْشِرُ بِهَا وَيَتَيَمَّنُ بِهَا . . . . وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » : (٤/١٣) : (رجاله ثقات) .

(١) أخرج البخاري (٣٥٧٢) ومسلم (٢٢٧٩) من حديث سيدنا أنسٍ قَالَ : أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنَاءٍ ، وَهُوَ بِالزَّوْرَاءِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ ، فَجَعَلَ المَاءُ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ ، قَالَ قَتَادَةُ : قُلْتُ لِأَنَسٍ : كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : ثَلاثَ مِئَةٍ ، أَوْ : زُهَاءَ ثَلاثِ مِئَةٍ .

(٢) وردت تسميته بعزرائيل في بعض الآثار ؛ منها : ما أخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٣٩٤) عن وهب بن مُنبِّه ، وأخرجه الثعلبي في « الكشف والبيان » (٧/٣٢٨) عن مقاتل والكلبي .

وقال ابن كثير في « التفسير » (٦/٣٦١) : (سُمِّي في بعضِ الآثار بعزرائيل ، وهو المشهور ، قاله قتادة وغير واحد) .

(٣) تسمية مالك وردت في الكتاب العزيز ، في قوله تعالىٰ ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٧] ، وتسمية رضوان وردت في بعض الأخبار ؛ منها : ما أخرجه الدارقطني ←

وبعدَ هٰذا الإيمانِ :

نعتقدُ أنَّ نَبيَّنا محمَّداً صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خاتِمُ الأنبياءِ ، وأنَّ النُّبُوَّةَ بعدَهُ أُغلِقَ بابُها ، وأُسبِلَ حِجابُها ، فلا نُبُوَّةَ بعدَ نُبُوَّةِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، ووجَبَ على الخَلْقِ كُلِّهِم مِن سائرِ المِلَلِ والأديانِ طاعتُهُ ، والإنقيادُ لهُ فيما أتَىٰ بهِ ، وتَركُ ما كانوا عليهِ مِن قبلُ ، وكلُّ الطُّرُقِ غيرُ طَرِيقِ مُتابَعَتِهِ مَسدودةٌ ، وكلُّ الدَّعَواتِ غيرُ دَعوةِ رِسالَتِه مَردودةٌ .

ونَعتَقِدُ أنَّ للأولياءِ مِن أُمَّتِهِ كَراماتٍ وإجاباتٍ ، وهٰكذا كانَ في زَمنِ كُلِّ رسولٍ لهُ أَتباعٌ ، ظَهَرَتْ لهم كَراماتٌ ومُخْرِقاتٌ للعَاداتِ ، وَكراماتُ الأولياءِ مِنْ تَتِمَّةِ مُعجزاتِ الأنبياءِ .

ومَنْ ظَهَرَتْ لهُ أو علىٰ يدَيهِ أشياءُ مِنَ المُخْرِقاتِ وهو علىٰ غيرِ الإلتزامِ بأَحكامِ الشَّريعَةِ .. نعتقدُ بأنَّهُ زِنديقٌ ، وأنَّ الَّذي ظَهَرَ لهُ مَكْرٌ واستدراجٌ .

وقدْ يكونُ للأولياءِ أنواعٌ مِنَ الكَراماتِ ؛ كسَماعِ الهواتفِ مِنَ الهواءِ ، والنِّداءِ مِن بَواطِنِهم ، وتُطوَىٰ لهمُ الأرضُ ، وقد تَنقلِبُ لهمُ الأعيانُ ، وقدْ يَنكشِفُ لهُم ما في الضَّميرِ ، ويَعلَمونَ بعضَ الحوادثِ قبلَ تكَوُّنِها ؛ كلُّ ذٰلكَ بِبَرَكَةِ مُتابَعَتِهِم لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأَوفَرُ النَّاسِ حظّاً مِنَ الصُّحبَةِ والقُرْبِ والعُبودِيَّةِ .. أوفَرُهُم حَظّاً مِنْ مُتابَعَتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] ، ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[2] ، وليسَ ما يَنكَشِفُ مِنَ الكَراماتِ آيةُ الصِّحَّةِ ، وإذا لمْ يكُنْ

← في « الرؤية » (٦٤) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه ، وجاء فيه : « فَيُنَادِي رَبُّ الْعِزَّةِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رِضْوَانَ ؛ وَهُوَ خَازِنُ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : يَا رِضْوَانُ ؛ ارْفَعِ الْحُجُبَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِبَادِي وَزُوَّارِي . . . » .
وأخرج الواحدي في « أسباب النزول » (ص ٣٣٢) من حديث ابن عبّاس ، وجاء فيه قول جبريل : « أَبْشِرْ يَا مُحَمَّدُ ؛ هٰذَا رِضْوَانُ خَازِنُ الْجَنَّةِ قَدْ أَتَاكَ بِالرِّضَا مِنْ رَبِّكَ . . . » .

(١) سورة آل عمران : (٣١) .

(٢) سورة الحشر : (٧) .

شيءٌ مِنْ ذٰلكَ . . تُعدَمُ الصِّحَّةُ ، بلْ قدْ يكونُ مَن لمْ يُكشَفْ لهُ أفضلُ مِمَّن كُشِفَ لهُ ، وهٰذه غريبةٌ !

وسِرُّ ذٰلكَ : أنَّ الَّذي يُكاشَفُ بشيءٍ مِنَ القُدرةِ وخَرقِ العادةِ إنَّما يُكاشَفُ بهِ لموضِعِ ضَعفِ يَقينِهِ حتَّىٰ يَقوَىٰ إيمانُهُ ؛ رحمةً مِنَ اللهِ تعالىٰ للعبادِ ، وثواباً مُعَجَّلاً لهم ، وفوقَ هٰؤلاءِ أقوامٌ ارتفَعَتِ الحُجُبُ عنْ قُلوبِهم ، وباشَرَ بواطنَهم رَوْحُ اليقينِ وصِرْفُ المعرفَةِ ؛ فلا حاجَةَ لهم إلىٰ مَددٍ مِنَ الخوارقِ ورُؤيةِ القُدرةِ والآياتِ .

ولهٰذا المعنىٰ ما نُقلَ عن أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كثيرٌ مِن ذٰلك إلَّا القليلُ ، ونُقلَ عنِ المتأخِّرينَ مِنَ المشايخِ والصَّادقينَ أكثرُ مِن ذٰلكَ ؛ لأنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بِبَركَةِ صُحبَتِه ، ومُجاوَرَةِ نُزولِ الوحي ، وتَرَدُّدِ الملائكةِ وهُبوطِها . . تنوَّرَتْ بواطِنُهم ، وعايَنُوا الآخرةَ ، وزهِدُوا في الدُّنيا ، وتَزَكَّتْ نُفوسُهُم ، وانخَلَعَتْ عاداتُهُم ، وانصَقَلَتْ مَرائِي قُلوبِهِم ؛ فاستَغْنَوا بما أُعطُوا عنْ رُؤيةِ الكَراماتِ ، واستِلماعِ[1] آثارِ القُدرةِ .

ومَنْ بَلغَ مِن قُوَّةِ اليقينِ هٰذا المبلَغَ . . يَرىٰ في إجراءِ عالَمِ الحِكمةِ ما يَرى الغيرُ مِنَ القُدرةِ ، ولا يرىٰ[2] القُدرةَ مُنكَمِنَةً ؛ بل مُتجلِّيةً مِن سُجُفِ الحكمةِ ، فلو تَجرَّدَتْ لهُ القُدرةُ وانكَشَفَت . . ما استَغرَبَ ذٰلكَ ، والمُستغرِبُ للقُدرةِ يَقوَىٰ يَقِينُهُ بها ؛ لأنَّهُ محجوبٌ بالحِكمةِ عنِ القُدرةِ .

واعتَقِدْ أنَّ الرُّؤيا الصَّالحَةَ جُزءٌ مِن ستَّةٍ وأربعينَ جُزءاً مِنَ النُّبوَّةِ[3] ، والأولياءُ وصالِحو المؤمنينَ تَنكشِفُ لهُم في مَناماتِهم لَوائحُ ولَوامعُ مِنَ الملَكوتِ .

ولوِ اعتَبَرتَ أمرَ المنامِ . . لرأيتَ عَجَباً ؛ فهو مِن آياتِ اللهِ الظَّاهرَةِ ، وقُدرَتِهِ

---

(١) في (أ ، ب ، د ، هـ) : (واستماع) .

(٢) في (أ ، ب ، ج ، هـ) : (ويرىٰ) .

(٣) الحديث أخرجه البخاري (٦٩٨٨) ومسلم (٢٢٦٣) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

الباهِرَةِ ، فقد يَنكشِفُ في المنامِ ما يَتكوَّنُ بعدَ سَنةٍ أو شَهرٍ ؛ فالشَّيءُ المعدومُ الَّذي بعدُ ما وُجِدَ أطلَعَكَ الحقُّ سُبحانَهُ عليهِ قبلَ إيجادِهِ ؛ لِيدُلَّكَ ذٰلكَ علىٰ أنَّ لكَ خالقاً وإلٰهاً هو علَّامُ الغُيوبِ .

وقدْ عَلِمتَ قِصَّةَ سيِّدِنا إبراهيمَ الخليلِ صلَواتُ اللهِ عليه في رُؤياهُ ، وقولَ اللهِ سُبحانَه لِنَبيِّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾[1] .

فعَليكَ ـ أيُّها الأخُ ـ بحُسنِ الاقتداءِ ، وقدْ ظَفِرْتَ بِكَمالِ الاهتداءِ ، واللهُ يَهدِي مَن يشاءُ إلىٰ صِراطٍ مُستَقِيمٍ .

---

(١) سورة الأنفال : (٤٣) .

الفصل التاسع

في ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته الطاهرين

اعلمْ : أنَّ مِيراثَ النُّبُوَّةِ العِلمُ ، وقد تَوارَثَهُ أصحابُهُ وأهلُ بَيتِهِ ، وقدْ وجَبَ عليك مَحَبَّةُ الجميعِ ؛ فلا تكُنْ مائِلاً إلىٰ إحدَى الجِهتَينِ دُونَ الأُخرَىٰ ؛ فإنَّ ذٰلك هوىً ، ولا يُنتزعُ منكَ هٰذا الميلُ حتَّىٰ يُنازِلَ باطِنَك شيءٌ مِن مَحبَّةِ اللهِ تعالى الخاصَّةِ ، فحينَئِذٍ تَتبرَّأُ مِنَ الهوَىٰ ، ويكونُ عندَكَ شغلٌ شاغِلٌ بما أُعطِيتَ ، فتَنظُرُ بصَفاءِ بَصيرَتِكَ ، وتَنكَشِفُ لكَ مَحاسِنُهم ، ويَتَغَطَّىٰ ما تُنكِرُهُ مِنْ أحدٍ منهم ؛ فإنَّ الِاشتِغالَ بالعَصَبِيَّةِ والخوضَ في أمرِهِم شُغْلُ البَطَّالِينَ .

وقدِ استَروَحَ قومٌ إلى البَطالَةِ ، وتَجَرَّؤوا على المُخالفاتِ وارتكابِ المَناهِي ، واتَّخذُوا ما زَعَمُوهُ مَحبَّةً لهُم جُنَّةً لهُم ، وحدَّثَتْهُم نُفوسُهُم أنَّ ذٰلكَ يَنفَعُهُم ! كلَّا ؛ حتَّىٰ يَستَقِيمُوا على الجادَّةِ المستَقِيمَةِ ، فلا تَنفَعُ مَحبَّتُهُم بغيرِ التَّقوىٰ ؛ فالصَّلواتُ إذا فاتَتْ ، والأوقاتُ إذا ضاعَتْ ، والذُّنوبُ إذا ارتُكِبَتْ ، والمحارِمُ إذا استُبِيحَتْ . . أنَّىٰ تَجبُرُها دَعوىٰ مَحبَّتِهِم ؟!

فيجبُ أن تُحِبَّ فاطمةَ بنتَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ورَضِيَ عنها ، وهل يَسَعُ قلبُ مُؤمنٍ إلَّا ذاكَ ، وقدْ سَمِعَ قولَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : « فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي » ؟![1] .

ثمَّ ما بلَغَك مِنْ زُهدِها في الدُّنيا وعلمِها ، وتَجرُّعِها مَرارةَ الفقرِ والفاقَةِ والقِلَّةِ ، وحُسنِ صَبرِها واحتِسَابِها . . يُوجِبُ مَحبَّةَ القلبِ لها ، ولو لَمْ يكنْ إلَّا نِسبَةُ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ . . فَنِسبَةُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧١٤) ومسلم (٢٤٤٩) من حديث سيدنا المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنه .

تُوجِبُ تلكَ المَحبَّةَ ولو لَمْ تكُنْ تلكَ الصِّفاتُ الظَّاهرةُ[1] ، فكيفَ إذا اجتَمَعَ ذٰلكَ كلُّه ؟!

والحسنُ والحُسينُ أولادُها رضوانُ اللهِ عليهم ، وأولادُهما أولادُها ، فالكُلُّ أولادُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، فمَنْ كانَ في قلبِهِ حُبُّ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ . . لا بُدَّ لهُ مِن حُبِّ أولادِهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ .

وأمَّا أصحابُه : فأبو بكرٍ رِضوانُ اللهِ عليهِ فضائِلُه لا تَنحَصِرُ ، وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ رِضوانُ اللهِ عليهم أجمعينَ ، وكونُكَ تَنسِبُ علياً رَضِيَ اللهُ عنه إلى النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ . . فالصُّحبَةُ أكمَلُ في وَصفِهِ مِن نِسبَةِ القَرابَةِ ، والكُلُّ عالٍ ؛ لأنَّ نِسبَةَ القَرابَةِ نِسبَةُ صورةٍ ، ونِسبَةَ الصُّحبَةِ نِسبَةُ معنىً ، فكيفَ يسعُ قلبُ المُؤمنِ أن يَقْدَحَ في أصحابِ رسولِ اللهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ، وهُم مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كجَسَدٍ واحدٍ ؟! بَذَلوا الأموالَ والأَرواحَ ، وهَجَروا الأوطانَ ، وقاطَعُوا الأترابَ والأقرانَ في صُحبَتِه ومَحبَّتِه .

وممَّا ظَفِرَ بهِ الشَّيطانُ مِنْ هٰذه الأمَّةِ ، وخامَرَ العقائِدَ منهُ دَنَسٌ ، وصارَ في الضَّمائرِ خَبَثٌ : ما ظَهَرَ مِنَ المُشاجَرَةِ بينهَم ، فأورثَ ذٰلكَ أحقاداً وضَغائِنَ في البَواطنِ ، ثمَّ استَحكَمَتْ تلكَ الضَّغائِنُ ، وتَوارَثَها النَّاسُ ؛ فكَثُفَتْ وتَجسَّدَتْ ، وانجَذَبَتْ إلىٰ أهواءٍ استَحكَمَتْ أُصولُها ، وتَشعَّبَتْ فُروعُها .

فأيُّها المبَرَّأُ مِنَ الهوَىٰ والعَصَبيَّةِ ؛ اعلمْ : أنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معَ نَزاهَةِ بَواطِنِهم ، وطهارةِ قُلوبِهم . . كانُوا بَشَراً ، وكانَتْ لهُم نُفوسٌ ، وللنُّفوسِ صِفاتٌ تَظهرُ بصِفَتِها ؛ فقدْ كانَتْ نُفوسُهم تظهرُ بصفةٍ وقلوبُهم مُنكِرَةٌ لذٰلكَ ، فَيَرجِعُونَ إلىٰ حُكمِ قُلوبِهم ، ويُنكِرونَ ما كانَ مِن نُفوسِهم ، فانتقلَ اليَسِيرُ مِن آثارِ نُفوسِهم إلىٰ أربابِ نُفوسٍ عَدِمُوا القلوبَ ، فما أدرَكُوا قَضَايا قلوبِهم ، وصارَتْ صِفَاتُ نُفوسِهم مُدرَكةً عندَهُم كجِنسيَّةِ النَّفسِيَّةِ ، فبَنوا بتَصرُّفِ النُّفوسِ

---

(١) وتقرأ بطاءٍ مُهمَلَةٍ : (الطَّاهرة) .

على الظَّاهرِ المفهومِ عندَهُم ، ووَقَعُوا في بِدَعٍ وشُبَهٍ أورَدَتْهُم كلَّ مَوردٍ رَدِيّ ، وجَرَّعَتْهُم كُلَّ شُرْبٍ وَبيّ ، وانعَجَمَ عليهِم صَفَاءُ قلوبِهِم ، ورُجوعُ كلِّ واحدٍ منهُم إلى الإنصافِ ، وإذعانُهُ لما يَجِبُ مِنَ الإعترافِ ، وكانَ عندَهُمُ اليَسِيرُ مِن صفاتِ نُفوسِهِم ؛ لأنَّ نُفوسَهُم كانَتْ مَحفُوفةً بأَنوارِ قلوبِهِم ، فلمَّا توارَتْ ذٰلكَ أَربابُ النُّفوسِ المُتَسلِّطةِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ ، القَاهرَةِ للقلوبِ ، المَحرُومَةِ أَنوارَها . . أَحدَثَ عِندَهُمُ العَداوةَ والبَغضاءَ .

فإن قَبِلتَ النُّصْحَ . . فَأمسِكْ عنِ الخَوضِ في أَمرِهِم ، واجعَلْ مَحبَّتَكَ لِلكُلِّ على السَّواءِ ، مِنْ غيرِ أن تُرَجِّحَ مَحبَّةَ أَحَدِهِم على الآخَرِ ، وأَمسِكْ عَنِ التَّفضيلِ والغُلُوِّ ؛ فأمرُهُم أكبرُ مِن أنْ تَخُوضَ فيهِ ، وإنْ خامَرَ باطِنَكَ فَضلُ أَحَدِهِم على الآخَرِ . . فاجعَل ذٰلكَ مِن جُملَةِ أَسرارِكَ ؛ فما يَلزَمُك إظهارُهُ ، ولا يَلزَمُكَ أنْ تُحِبَّ أحدَهُم أكثرَ مِنَ الآخَرِ ، أو تَعتَقِدَ فضلَهُ أكثرَ مِنَ الآخَرِ ، بلْ يَلزمُكَ مَحبَّةُ الجميعِ ، والِاعترافُ بفضلِ الجميعِ ؛ فكثيرٌ مِنَ النَّاسِ نَكَبُوا عن صِراطِ الِاعتدالِ والِاستقامةِ ، فوَقَعوا في مَهْوَاةِ التَّفريطِ والإفراطِ ، وتَأَجَّجَتْ نِيرَانُ العَصَبِيَّةِ في القلوبِ مِنَ الطَّائِفتَينِ .

فالحَذِرُ المتَورِّعُ لا يَأمَنُ التَّفريطَ والإفراطَ ، ويَثبُتُ على سَواءِ الصِّراطِ ، وإذا أَحسَّ مِن نَفسِهِ بِتنَاقُضٍ ما في حَقِّ أَحَدِهِم . . يَفِرُّ إلى اللهِ تعالىٰ بِقَلبِهِ ، ويَعمَلُ في إخمادِ نارِ العَصَبِيَّةِ الَّتي مَنشَؤُها قَضايا الطَّبْعِ ، ويُقلِّدُ في تَفضيلِ البَعضِ على البَعضِ ما صحَّ مِنَ المنقولِ عن أكثرِ الصَّحابةِ والتَّابعينَ .

ويَكفِيك في العقيدةِ السَّلِيمَةِ : أن تَعتَقِدَ صِحَّةَ خِلَافةِ أبي بكرٍ ، وخِلَافةِ عمرَ وعثمانَ وعليٍّ رِضوانُ اللهِ عليهم أجمعينَ .

ثمَّ تَعْلَمَ أنَّ عليّاً رِضوانُ اللهِ عليهِ ومُعاويةَ كانَا على القِتَالِ والخِصَامِ ، وكانَ الطَّائِفَتانِ يَسُبُّ بعضُهُم بَعضاً ، وما حَكمَ أَحدٌ منهُم بِكُفرِ الآخَرِ ، وإنَّما كانَتْ ذُنوباً لهم ، فلا تُكفِّرْ أحداً بما تَرىٰ منهُ مِنَ الجهلِ والسَّبِّ .

واعتَقِد أنَّ أميرَ المُؤمِنينَ عَلِيّاً رضوانُ اللهِ عليه اجتَهَدَ في الخِلَافةِ ، وأصابَ في الإجتهادِ ، وكانَ أحقَّ النَّاسِ بالخِلَافةِ إذْ ذاكَ ، وأنَّ مُعاوِيةَ رضيَ اللهُ عنهُ اجتَهَدَ في ذٰلكَ ، وأخطأَ في الإجتهادِ ، ولم يكُن مُستَحِقّاً للخِلَافةِ مَع عليٍّ .

فاللهُ ينفَعُنا بِمَحَبَّتِهِم ، ويَحشُرُنا في زُمْرَتِهِم ، ونسألُهُ العِصمَةَ مِنَ الخَوضِ فيما شَجَرَ بينَهُم ، واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ .

الفصل العاشر

في ذكر الموت وما بعده من الأمور الأخروية والجنة والنار

نعتَقِدُ أنَّ الميّتَ بعدَ الموتِ يَسمَعُ ما يُقالُ عندَهُ ، وما يُقالُ لهُ ، كما كانَ في حالِ حَياتِهِ ، ويَتأثَّرُ بالعُنْفِ واللُّطْفِ مِنَ الغاسلِ ومِمَّن يُباشِرُ جِسْمَهُ ، وكأنَّ الحَواسَّ الَّتي انعَدَمَت انْكمَنَتْ فيهِ .

ولا نَشُكُّ في أَمْرِ سَماعِ الميّتِ ورُؤيَتِهِ ، وقدْ دَلَّتِ الأَخبارُ علىٰ ذٰلكَ ، إذا فَتَّشْتَ . . وجَدْتَ[1] .

وقدْ وجَدَ ذٰلكَ أهلُ اللهِ وخاصَّتُه ذَوقاً ، وعَلِمُوه يَقِيناً ، بما أَظهَرَ اللهُ لهُم ، وأطلَعَهُم عليهِ .

وأنَّ المَلَكَينِ مُنْكَرٌ ونَكِيرٌ يَسألانِهِ ، وما وَرَدَ : أنَّ المُساءَلةَ تكونُ للمَقبُورِ ، وظاهِرُ الأمرِ أنَّ المُساءَلةَ تكونُ للحَريقِ والغَريقِ أيضاً ، ولمَنْ أكَلَتْهُ السِّباعُ ، وكيفَ ماتَ على اختلافِ الأَحوالِ ؛ فإنَّ ذٰلكَ ابتلاءٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ لعبادِهِ ، وهو مِنْ جُملَةِ مَنازِلِ الآخرَةِ ومَواقِفِها .

ونعتقدُ ضَغْطَةَ القبرِ ، وأنَّ القبرَ يكونُ رَوضةً مِن رِياضِ الجَنَّةِ ، أو حُفرةً مِنْ حُفَرِ النَّارِ .

وأنَّ الأَرواحَ والأجسادَ تَشْتَرِكُ في النَّعيمِ المُقِيمِ والعَذابِ الأليمِ ، وأنَّ القَالَبَ

---

(١) من ذٰلك : ما أخرجه أبو العبَّاس الأصم في « جزء من حديثه » (١١) وابن حبان في « المجروحين » (٤٨٠/١) ، وتمَّام في « الفوائد » (١٣٩) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ رَجُلٍ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ . . إلا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ » .

وله شاهدٌ من حديث سيدنا ابن عبَّاس رضي الله عنهما ؛ أخرجه ابن عبد البر في « الاستذكار » (١٦٦/٢) ، وقال عبد الحق الإشبيلي في « الأحكام الصغرىٰ » (٣٤٥/١) : (إسناده صحيح) .

بعدَ أن يَصيرَ تُراباً ، ويُتَّخَذَ منهُ الخَزَفُ ، ويُضْرَبَ منهُ اللَّبِنُ . . يَشتَرِكُ مع الرُّوحِ في النَّعيمِ والعذابِ ، وأنَّ اللهَ سُبحانَه يَجمعُ بينَ كُلِّ قَالَبٍ ورُوحِه لِيَومِ العَرْضِ والنُّشُورِ ، وفي أَخْذِ سَيِّدِنا إبراهيمَ أربعةً مِنَ الطَّيرِ ، وقِصَّتُهُ كانَتْ إظهاراً لهٰذا السِّرِّ ، فكَونُ عَقلِكَ لا يُكيِّفُ ذٰلكَ . . لِمَا سَبَقَ مِنَ القَولِ ، وأنَّكَ مَحصُورٌ في مَعقُولِكَ ، مُقَيَّدٌ بعِقَالِ عَقْلِكَ .

وما مِثَالُك ـ أيُّها المحبُوسُ في قَفَصِ عالَمِ الحكمَةِ ـ إلَّا مِثَالُ الجَنِينِ في بَطنِ أُمِّهِ ، لو قالَ لهُ قائلٌ : إنَّ اللهَ خَلقَ السَّماواتِ والأَرضَ ، والعَرشَ والكُرسِيَّ ، والشَّمسَ والقَمرَ والنُّجُومَ . . ما تَكوَّنَ لهُ ذٰلكَ ، ولا اهتَدَىٰ إليهِ .

فأنتَ ـ أيُّها المُعتَقَلُ بعَقلِك ـ ذٰلكَ الجَنِينُ ، وما انشَقَّت عَنكَ مَشَايِمُ[1] عالَمِ الشَّهادَةِ ، ولا تفَقَّصَتْ بَيضَةُ وُجودِكَ وبَعْدُ ما وُلِدتَ ، فإذا مُتَّ . . يُقالُ لكَ : تَفطَّنْ ، ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[2] ، فتَستَيقِظُ حِينَئذٍ مِنْ رَقدَتِكَ بمَوتِكَ ، وتَرىٰ عالَماً ما رَأَيتَهُ ، وتَرى الجَنَّةَ والنَّارَ .

واعتَقِد أنَّهُما مَوجُودَتانِ مَخلُوقَتانِ ، وكلُّ ما وَرَدَ مِن عَظِيمِ أمرِ الجَنَّةِ حقٌّ ؛ مِنَ الحُورِ والقُصورِ ، والوِلدَانِ والغِلْمانِ ، والأنهارِ والأشجارِ .

وقِسْ جَميعَ أمرِ الجَنَّةِ علىٰ ما وردَ بأنَّ القائلَ إذا قالَ : (لا إلٰهَ إلَّا اللهُ) . . يُعطَىٰ بقَولِه شَجَرةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مئةَ عامٍ[3] .

---

(١) في (أ) : (مَشامُّ) ، وكلاهما جمع مَشِيمَةٍ : وهي : الطَّبقةُ البرَّانيَّةُ للغِشاءِ الَّذي يكونُ فيه الجَنِينُ في البطنِ ويَخرجُ معه عند الوِلَادَةِ . ينظر « تهذيب اللغة » (ش م) ، و« المعجم الوسيط » (١/٥٠٤) .

(٢) سورة قٓ : (٢٢) .

(٣) لم أقف عليه بهٰذا السياق ، ولعل مقصود المؤلِّف ما وَرَدَ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « من قال : سبحان الله العظيم وبحمده . . غُرِسَتْ له نخلة في الجنة » . أخرجه الترمذي (٣٤٦٤) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

وما وَرَدَ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ في الجَنَّة لشجرة يسير الراكب الجواد المُضمر السَّريع مئة عامٍ ما يقطعها » ، أخرجه البخاري (٦٥٥٣) ومسلم (٢٨٢٨) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

فاعلمْ : أنَّ ذٰلكَ حقٌّ ، وهُنالِكَ أعظمُ مِن ذٰلك : « مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ »[1]

وإنَّما أُخبرتَ بيسيرٍ مِنْ كثيرٍ علىٰ قَدرِ وهْمِكَ وخَيالِكَ وضِيقِ وِعَائِكَ ؛ لأنَّكَ ما دُمتَ في هٰذا العالَمِ فَوِعاءُ فَهْمِكَ علىٰ قَدرِ ضِيقِ هٰذا العالَمِ ، والمقَيَّدُونَ بعُقولِهِم ما يَقبَلونَ الشَّيءَ إلَّا إذا دلَّ عليهِ البُرهانُ ، وما عَداهُ فهو عِندَهُم سُخْفٌ وهَذَيانٌ ؛ فهُمُ الملاحِدَةُ والزَّنادِقةُ ، أجهلُ خلقِ اللهِ باللهِ ، ما لهُم في الآخرَةِ مِنْ نَصيبٍ .

ويدُلُّك علىٰ وَهَنِ نِيَّاتِهم وفَسادِ أَمرِهِم : اختِلافُهُم في الآراءِ .

ويدُلُّك علىٰ صِحَّةِ أمرِ الأنبياءِ صَلَواتُ اللهِ عليهم : اتِّفاقُهُم علىٰ أُصُولِ ما اختَلَفَتْ ، واتَّفَقَ عليها أَتبَاعُهُم وأَشياعُهُم إلىٰ يَومِ القِيامةِ .

واعتقِدْ أنَّ اللهَ يَبعَثُ الخلائِقَ ليومِ الحِسابِ ، ويَجمَعُ الخلقَ في صَعِيدٍ واحدٍ ، ويُحاسِبُ على النَّقِيرِ والقِطْمِيرِ[2] ؛ فَفَرِيقٌ في الجَنَّةِ أَبَدَ الآبَادِ ، وفريقٌ في السَّعيرِ .

وضَرْبٌ دُونَهُم ستَائرُ الإبعادِ ، مُخلَّدُونَ في النَّارِ ، وأخطأَ مَنْ قالَ : لا يُخلَّدونَ .

فَقَومٌ منهُم يَذُوقُونَ النَّارَ ، وقومٌ يَمكُثُونَ قليلاً ، وآخَرُونَ كثيراً ؛ علىٰ قَدْرِ ذُنُوبِهِم .

---

(١) أخرج البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤) من حديث سيدنا أبي هُريرة رَضِيَ الله عَنْهُ ، قال : قال رسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ اللهُ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة : ١٧] » .

(٢) جاء في كتاب « المنتخب من غريب كلام العرب » للهُنائي (ص ٣٥٤) : (القِطْمِيرُ : القشرة التي بين نواة التمرة وبين لحمها ، والنَّقِيرُ : النُّقْرَةُ التي في وسط النواة ، والفَتِيلُ : الذي في شَقِّهَا) .

وأَهلُ البِدَعِ سَبِيلُهُم سَبِيلُ أَهلِ الكبائرِ ؛ لا يُخلَّدُونَ في النَّارِ ، قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ : « سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي . . . »[1] ، وأَثبَتَ أَنَّهُم مِنَ الأُمَّةِ .

وقَولُه صلَّى اللهُ عليه وسَلَّمَ : « النَّاجِيَةُ واحدَةٌ »[2] ، الفِرْقةُ النَّاجِيةُ لا يَذُوقُونَ النَّارَ ، ولا يَدخُلونَها إلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ ، والباقُونَ يدخُلونَ النَّارَ ثمَّ يَخرُجونَ .

فلَا تَعتَقِدْ أَنَّ مَن صَامَ وصلَّىٰ إلى الكَعبةِ ، وحجَّ ، وزكَّىٰ . . يُخلدُ في النَّارِ علىٰ ما يكونُ منهُ مِنَ الكَبيرةِ والبِدعَةِ .

ونعتقِدُ أَنَّ للأنبياءِ عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ شفاعةً يومَ القِيامَةِ ، يَخرُجُ بشَفاعَتِهِم خَلقٌ مِنَ النَّارِ ، وللأَولياءِ والمؤمِنينَ شفاعةٌ وجَاهٌ عندَ اللهِ علىٰ قَدْرِ رُتَبِهِم .

ونَعتَقِدُ أَنَّ الصِّراطَ حَقٌّ ؛ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ ، وأَحَدُّ مِنَ السَّيفِ[3]

وأَنَّ المِيزانَ حقٌّ ؛ وله كِفَّتانِ ولِسانٌ[4]

وكُلُّ ما يُخامِرُ سِرَّكَ فقدْ نبَّهتُكَ على الطَّريقِ الَّذي أُتِيتَ منهُ ، وأيُّ شيءٍ تُنكِرُ مِن قُدرَةِ اللهِ تعالىٰ أَنْ تُوزَنَ الأعمالُ ؟!

فيا أَيُّها الرَّجُلُ ، صاحبَ العقلِ الصَّغيرِ والعلمِ اليَسيرِ ؛ عقلُكَ لا يَعلَمُ

---

(١) أخرجه أبو داوود (٤٥٩٦) والترمذي (٢٦٤٠) وصحَّحه ، وابن ماجه (٣٩٩١) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رَسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : « افترقَتِ اليهودُ علىٰ إحدىٰ ـ أو : اثنتين ـ وسبعين فرقةً ، وتفرَّقت النَّصارىٰ علىٰ إحدىٰ ـ أو : اثنتين ـ وسبعين فرقةً ، وتَفتَرِقُ أُمَّتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقةً » .

قال الخطَّابي في « معالم السنن » (٤/٢٩٥) : (فيه دَلالةٌ علىٰ أنَّ هٰذه الفِرق كلها غير خارِجة من الدِّين ؛ إذ قد جعلهم النبي صلَّى الله عليه وسلَّم كلهم من أمَّته ، وفيه : أنَّ المتأوِّل لا يخرج من الملَّةِ وإن أخطأ في تأويله) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) ، وأحمد في « المسند » (١٢٢٠٨) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، بلفظ : « كُلُّهَا فِي النَّارِ ، إِلَّا وَاحِدَةً ؛ وَهِيَ : الْجَمَاعَةُ » .

(٣) أخرجه مسلم (١٨٣) من حديث سيدنا أبي سعيدٍ الخُدري رضي الله عنه .

(٤) قال ابن أبي زمنين في « أصول السُّنَّة » (ص ١٦٦) : (رأيت في تَفسيرِ الكلبيِّ عن أبي صالحٍ ، عن ابن عَبَّاسٍ أنه قَال : هُو مِيزَانٌ لَه لِسانٌ وكِفَّتَانِ) .

إلَّا الجواهرَ والأعراضَ ، فتقولُ : الأعراضُ كيفَ تُوزَنُ وهي لا تَقومُ بذَواتِها ؟! وَتَضحَكُ مِنَ القائلِ لكَ ذٰلكَ ، فمَنْ أطلَعَه اللهُ على الأسرارِ وعَجائِبِ الأقدارِ . . يَضحَكُ مِنْ قُصورِ عَقلِكَ ، ويُزْري علىٰ رَكاكَةِ فَهمِك ، ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾[1]

فَمَنْ عَلِمَ ذٰلكَ العِلمَ ، واتَّخذَهُ اللهُ أَمِيناً ، وأَطلَعَهُ على الأُمورِ الأُخرَوِيَّةِ ، وكُشِفَ لهُ عالَمُ القُدرَةِ . . يَرىٰ أنَّ المُقيَّدَ بعَقلِهِ كالصَّبيِّ الَّذي يَتحَرَّكُ بِحَرَكاتٍ ، ويَعتَقِدُ اعتقاداتٍ ، ويَظُنُّ ظُنوناً ، يَضحَكُ العاقلُ البالِغُ مِنِ اعتِقادِهِ .

وصاحبُ العقلِ المُنكِرِ للأمورِ الأُخرَوِيَّةِ ـ عند صاحبِ هٰذا الفنِّ مِنَ العلمِ والكَشْفِ ـ أقلُّ عقلاً مِنَ الصَّبيِّ ، مع ما يُعتَقدُ فيهِ أنَّهُ شبرَ[2] الأرضَ بأَسرِها وَوَزَنَها ، وعَلِمَ حَركاتِ الأَفلاكِ وتأثيراتِ الكَواكبِ ، ووَقفَ مِن علمِ الهيئَةِ علىٰ أَتمِّ غايةٍ وأَكمَلِ نِهايةٍ ، واعتَقَدَ في نَفسِهِ ومَنْ سَلك مَسْلَكَهُ أنْ ليسَ علىٰ وجهِ الأرضِ أَعلَمُ منهُ ، ومعَ ذٰلكَ كلِّهِ هو أَجهَلُ خَلقِ اللهِ تعالىٰ ؛ حيثُ جَهِلَ الأمورَ الأُخرَوِيَّةَ ؛ لأنَّ تلكَ العلومَ كلَّما أَكثَرَ منها . . ازدادَ جهلاً باللهِ تعالىٰ وبأمرِهِ ، لٰكنْ مَنْ سَبَقَ لهُ مِنَ اللهِ الحُسنَىٰ . . فهو يُنقِذُهُ مِنَ الضَّلالِ ؛ فقدْ أَنقَذَ خلقاً خاضُوا تلكَ الغَمَراتِ ، وعايَنوا تلكَ الهلَكَاتِ ، فقدْ رَأينا منهُم وسَمِعنا بهم ، وما ذٰلكَ على اللهِ بعزيزٍ .

ونعتقدُ أيضاً : أنَّ الحَوضَ المورُودَ المخصُوصَ بهِ نَبيِّنَا صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حقٌّ .

ولا نعتقدُ أنَّ أهلَ الكبائرِ لا بُدَّ لهُم مِنْ وُرودِ النَّارِ ، ولا نَقطعُ لهُم بذٰلكَ ، بلْ يَجُوزُ أنَّ اللهَ تعالىٰ يَتجاوَزُ عنهُم إذا اطلَعَ لهُم علىٰ ما يُكفِّرُ سَيِّئاتِهم .

ولا نقطعُ لأحدٍ بالجنَّةِ لِمَا نَرىٰ منهُ مِنَ الأعمالِ الصَّالحَةِ والطَّرائقِ الحميدَةِ ،

---

(١) سورة المطففين : (٣٤) .

(٢) في (ب) : (سَبَرَ) بسينٍ مُهملةٍ . وكلَاهما وجيهٌ ، له حظٌّ مِنَ التَّوجيهِ .

بلْ نَرجُو لهُ الجَنَّةَ ، ونُجَوِّزُ أنَّ اللهَ تعالىٰ سَيُورِدُهُ النَّارَ ، إلَّا مَنْ نصَّ عليهِ القرآنُ بالرِّضوانِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[1] .

ونَعتَقِدُ أنَّ عيسىٰ عليه السَّلامُ ينزلُ ، والدَّجالَ يخرجُ ، والشَّمسَ تطلُعُ مِن مَغربِها ، كُلُّ ذٰلك حقٌّ لا شكَّ فيهِ .

ونَعتَقِدُ أنَّ الخِلَافةَ في قُريشٍ إلىٰ يومِ القِيامةِ ، لا يُجاذِبُهُم عليها غيرُهُم .

ونَعتَقِدُ وجوبَ الإنقيادِ لإمامِ الوقتِ مِن بَنِي العبَّاسِ ، ولسائرِ وُلاةِ الأَمرِ مِن قِبَلِهِ ، ونَرىٰ قتالَ مَنْ يخرجُ على الإمامِ .

ونَعْتَقِدُ وجوبَ الجمُعةِ والجماعةِ ، ووُجوبَ قضاءِ حقوقِ المُسلمينَ ، والإتِّفاقِ معَهُم علىٰ ما اتَّفقُوا عليهِ وانعقدَ إجماعُهم فيهِ ، ولا نَستَبِدُّ بآرائِنا دونَ إجماعِ المُسلمينَ ، كلُّ ذٰلكَ بتوفيقِ اللهِ العليِّ العظيمِ[2] ومَنِّهِ الجَسيمِ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ .

---

(١) سورة الفتح : (١٨) .

(٢) هنا تنتهي نُسخُ الكتاب ، وما يلي مثبت من النسخة (ب) وفي (أ) : ختمَها النَّاسخُ بقولِه : (تمَّتِ العقيدةُ المسماةُ بـ « أعلامُ الهدىٰ وعقيدةُ أربابِ التُّقىٰ » ، بحمدِ اللهِ ومنِّه ، للشَّيخِ شيخِ الإسلامِ في العالمينَ ، شهابِ الدِّينِ عمرَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سعيدِ بنِ الحُسينِ بنِ القاسمِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المعزِّ بنِ القاسمِ السُّهرَوَرْدِيِّ ، رحمةُ اللهِ عليه ، في أوائلِ ذي الحِجَّةِ ، تسعٍ وسبعينَ وسبعِ مئةٍ) .

وفي (ج) : ختمَها النَّاسخُ بقوله : (الرَّؤوفُ الرَّحيمُ ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ النَّبيِّ الأُمِّيِّ وآلِه الطَّاهرينَ وأصحابِه الأكرمينَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ) .

وفي (د) : ختمها النَّاسخ بقوله : (وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدنا محمَّد النَّبيِّ الأُمِّيِّ ، وعلىٰ آلِه الطَّاهرينَ وأصحابِه الأكرمينَ ، وسلَّم تسليماً كثيراً ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، تذكِرةُ الفقيرِ خالدِ الكراطي لأخيه في الله تعالى المُناصرِ المجاهدِ دانيال سلطان النُّسبِ الألمعيِّ سنة « ١٣٤٨ » ، لله الحمدُ والمنَّةُ) .

وفي (هـ) : ختمها النَّاسخ بقوله : (والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على النَّبيِّ محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِه أجمعينَ وسلَّم تسليماً ، ورَحِمَ اللهُ مَن دعَا لكَاتبِ هٰذه الأسطرِ وجميعِ المؤمنينَ والمؤمناتِ والمسلمينَ والمسلماتِ ؛ برحمتكَ يا أرحمَ الرَّاحمينَ) .

والصَّلاةُ والسَّلامُ الأكمَلانِ الأطيَبانِ الأزكَيانِ ، الأفْيَحانِ الأعْطَرانِ ، النَّامِيانِ المُتَعاقِبانِ ، علىٰ مَرِّ الدُّهورِ والأزمانِ ، مِن نَاطقٍ وصَامتٍ مِنْ جَمادٍ وحيوانٍ ، علىٰ أشرفِ خلقِ اللهِ وأفضَلِهم مِنَ الملائكةِ والإنسِ والجانِّ ، صلَّى اللهُ عليه وعلىٰ آلِهِ وصِحَابِهِ وعِتْرَتِهِ وأهلِ بيتِهِ الطَّاهرينَ ومَنْ تابعَهُم بإحسانٍ ، وسلَّمَ كثيراً .

تمَّتْ هٰذه العقيدةُ المباركةُ ، بحَمدِ اللهِ تعالىٰ وعَونِه وحُسنِ تَوفيقِهِ ، ولِلهِ الحمدُ أوَّلاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وسِرّاً وعَلانيةً ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِه وصحبِه وسلَّمَ تسليماً كثيراً إلىٰ يومِ الدِّينِ .

لَا تَعْجَلَنَّ[1] فَلَيْسَ ٱلرِّزْقُ بِٱلْعَجَلِ ... ٱلرِّزْقُ[2] فِي ٱللَّوْحِ مَكْتُوبٌ مَعَ ٱلْأَجَلِ

فَلَوْ صَبَرْنَا لَكَانَ ٱلرِّزقُ يَطْلُبُنَا ... لَٰكِنَّهُ[3] خُلِقَ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ[4]

كانَ الفراغُ نهارَ الثُّلاثاءِ ، ثانِيَ عشرَ رجبَ الحرامَ ، سنةَ (٩٩٠ هـ)[5] ، علىٰ يدِ الفقيرِ إلى اللهِ : محمَّدٍ الصَّفَدِيِّ ، غفرَ اللهُ لهُ ولوالِدَيهِ وللمُسلمينَ أجمعينَ ، آمين .

---

(١) في (ب) : (تعجل) ، والصوابُ ما أثبتُّ .

(٢) في (ب) : (إنما الرزق) ، والصوابُ ما أثبتُّ .

(٣) في (ب) : (ولكن) ، والصوابُ ما أثبتُّ .

(٤) هٰذه خاتمة (ب) ، والأبيات في : « مجموعة القصائد الزهديات » لعبد العزيز السلمان (٥٣٤/١) ، ولم أهتدِ لقائلها ، والبيتان من البسيط .

(٥) في أصل (ب) : (كأنها كُتبت : ١٩٩٠) ، وهو وهم محضٌ ، يُؤكده قوله : (رجب الحرام) ، فكيف يكون رجب (١٩٩٠) ؟! وكتبَ أحدُ قرَّاءِ المخطوطِ تحت هٰذه السَّنةِ : أظنُّها سنة : (١١١٠) ، ولعلَّ ما أثبتُّ الأقربَ إلى الصَّوابِ ، سيما وأنَّ رقم (١) غير واضح في الكتابة ، وقد ذُكِر ذٰلك في توصيفِ نُسخةِ دار الكتبِ المصريَّةِ .